أحمَد خَلف

نحو نار أفضَل

رواية

ميريت

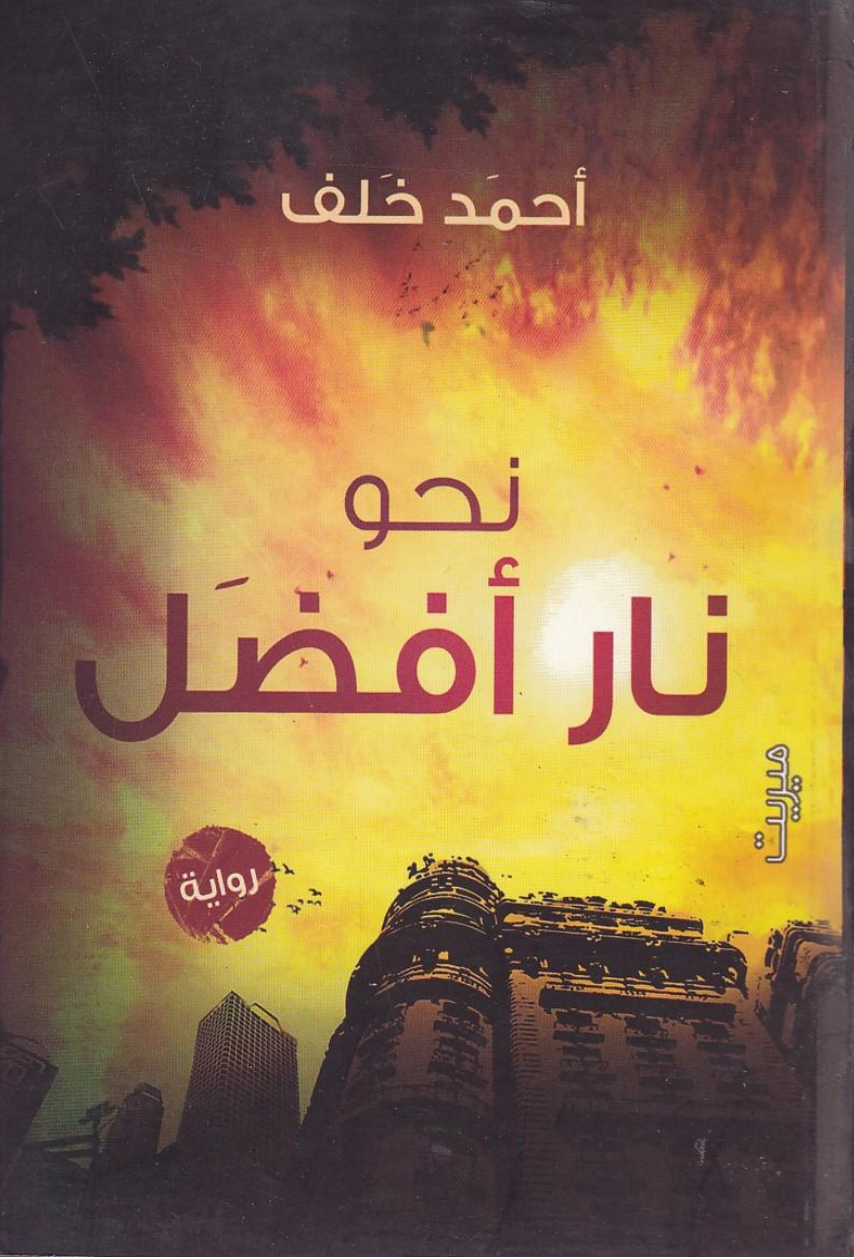

نحوَ

نارِ أفضَل

نحوَ

نارٍ أفضَل

رواية

أحمد خلف

الطبعة الأولى ٢٠١٥

دار ميريت

٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة

تليفون / فاكس: ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www.darmerit.com
info@darmerit.com

المدير العام: محمد هاشم

الغلاف: أحمد خلف

شكر للصديق كريم آدم

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٣٠١٤

الترقيم الدولي: 978-977-351-753-3

أحمد خلف

نحوَ نارِ أفضَل

روايـة

دار ميريت

القاهرة ٢٠١٥

شكر

شكرا..
شكرا.. لكل من وقف أمامى كعائق ..
وتمتع بكونه حملاً ثقيلاً علىّ ..
ولكل من وجد راحته ومتعته فى كبتى يوماً..
أو تحطيمى ..
شكرا لك أيها الشاطئ بأمواجك التى - لو سمحت لى - اختلست منها بعضًا من الأفكار..
شكرا لمخترع البن ..
وشكرًا لكِ ..

المؤلف

..لا أدري ما حدث.. ولا يهمني أن أدري ما حدث.. ولا ما يحدث ولا كيفية حدوثه.. ولا ما سوف يحدث... كل ما يهمني أن ينتهي.. ينتهي و كفى.. وهذا ليس طلبًا.. بل رجاءً ..

(١) كوب من الشاى

* *مفكرة واحد:-*

..أيام صعبة قضيتها ها هنا.. الكثير من لفافات التبغ المحترق.. وأكواب القهوة الباردة المتناثرة حولي.. أحداث غريبة تحدث.. كأنها من المفترض أن تحدث...تبا لقد لففت لفافة التبغ عكسيا...

* * *

ياله من صداع يكتنف رأسي.. لكم أتوق لكوب من القهوة "الدوبل".. وضعت ساقاً على أخرى.. محاولا طقطقة رقبتى بلا جدوى... داخل هذا القارب المتهالك.. وسط تلك الحشود ..

لكم قدرت إحساس سمكة التونة.. التي تتسكع داخل المحيط لتجد نفسها فجأة بداخل شباك ذلك السميك صاحب الكرش المكتنز والرائحة الكريهة.. تقيم علاقات لا بأس بها مع بني جنسها ثم تصبح داخل علبة إما مفتتة أو قطعا.

ما كل هؤلاء البشر؟!.. إننا في حدود العشرين شخصاً، منهم من فضل قضاء الرحلة نائماً، ومنهم من كان شارداً، ومنهم من يبكي... مهلاً.. يبكي؟!.. لماذا يبكي؟!...

أين نحن؟!

إننا ثلاثة قوارب مكتظة بالبشر.. حولنا.. جبال.. ثم جبال.. وبعدها ببضع سنتيمترات جبال.. مصدر الإضاءة شبه معدوم.. ولكنه ضوء يوضح ليس بالكثير.. ضوء ..

ضوء وكفى .

وهنا ولأول مرة ألاحظ هذا الملثم الذي يمسك بمجداف القارب.. يرتدي عباءة من الخيش..

أهذا فيلم رعب؟! ..

أظنه صامتا .. لو كنت جالسا أمام فيلم كهذا.. لسال لعابي ممزوجاً بمعزوفات من الشخير المتناغم ..

نظرت للماء.. كان غريبا.. هو ماء.. ولكن ليس ماء.. ولا أدري كيف.. حاولت أن أضع يدي داخله حتى دوت صيحة الملثم التي كادت توقف قلبي .. "منصحكش" ..

تجمدت في مكاني وأنا أنظر له بتمعن محاولا تبين ملامحه.. وأقول ململماً شجاعتي :

- (مش فاهم حضرتك... هي ميه مش نضيفة يعني؟!) ..

صدر صوت غريب منه.. كصوت عربتك عندما تكون حمولتها زائدة.. استنتجت مجازاً أنها ضحكات.. ثم تابع بصوت جهوري مقتضب:-

- (لا بالعكس.. هي نضيفة جداً)..

صمت لحظة ثم أضاف في برود:-

- (بس... مغلية) ..

- أدخلت يدي داخل جيبي بسرعة.. وعرقي يتصبب وأنا أقول متلعثماً:-

- (مغلية؟!.. مغلية مغلية.. مغلية بتاعتنا..؟!)..

نفس صوت عربتك بنفس الحمولة الزائدة... وهو يقول في استهزاء:-

- (لسه زي ما أنتم.. عمركم ماهتتغيروا)...

وضحك على دعابته التي راقت لـه.. ومتمتما ببعض العبارات التى لم اتبين معناها ولا نوع اللغة ولكنها تبدوا كاسباب

وهنا دس رجل كث الشارب حاد الملامح يبدو أنه كان صديق حميم للشمس من كثرة سمرته ..تدل ملامحه أنـه صعيدي قُح ليخرج المج الفوشيا وسواكا طويلا وعلبة من الثقاب ..ويدس المج بالمياه ليمتلىء ويفرغ محتويات علبة الثقاب داخل المج.. وهم بالتقليب بالسواك.. وهو منهمك.... في غباء:-

- (هو أنت عملت إيه يا بلدينا؟!) ..

تبدلت ملامحه ثم نظر لي في توعد:-

- (شاي.. شاي يا حضرة) ..

وهم بتذوق ناتج ما صنعه لترتسم على وجهه أمارات الرضا...

ماذا يحدث هنا.. أين أنا؟! من حقي أن أعرف.. نطقت في غضب:-

- (إحنا رايحين فين يا رجالة؟!) ..

لم ينبت أحد ببنت شفة.. كأنني شفاف أو ورقة شجر أو كارت شحن.. صحت مرة أخرى في توتر وبنبرة أعلى:-

- (هو محدش بيرد عليا ليه؟!)...

... بلا إجابة.. مرة أخرى إذن.. لن ينفع اللين.. صحت في حدة:-

- (إيه الـ (....) دي يا جدعان ما حد يرد)..

هنا زمجر الملثم وهو ينظر لي صائحاً:-

- (صداع مش عايز... مش حتيجى تعمل راجل هنا... أنت إللي اخترت تبقى هنا.. ده أنت حاجز.. إللي جابك هنا يا محترم مش حد غيرك وتستحق مش انت بس... كلكم فا كلام تانى حناولك.. ومش عايز أسمع صوتك تاني ..

وصاح صيحة هادرة دوت في أرجاء المكان:-

- (فاااهم؟!)..

لم أجرؤ على الاعتراض أو الدخول في مناقشة كلامية عقيمة النتيجة.. ولكن فى أفلام الرعب لا يتحدث المُلثم بتلك السوقية الفجة.. (حناولك) و(مش حتيجى تعمل راجل هنا)....

أأهرب ..؟!

نظرت حولي محاولا أن أستنير بأي شيء بلا جدوى .

نظرت للمياه فأقشعر بدني.. كوني هنا وسط قطيع الخبلاء أكيد أفضل من أن أصبح مسلوقا.. أنا أفضل من أنا مسلوق ..

- (سلم علي.. لما جابلني.. وسلم علي)..

نظرت للصعيدي نظرة نارية.. إنه لمزاج غريب للغناء.. لسنا في نزهة نيلية يا صاحب المج الفوشيا.. رشف من كوب شايه الثقيل.. وعبث بقدمه لحظات ثم تجشأ

- (وسلم عالييييييا!!!!).

أي ضرب من الجنون هذا؟! ..

إذن أنا نائم.. نعم... نعم أنا نائم.. وهواء مروحة السقف مع تقلباتي الليلية قد عبث بغطائي.. ليظهر البوكسر النبيتي المفضل لدي.. نعم.. أنا الآن نائم ..

نظرت للأصلع الذي بجانبي وهو ينظر لهاتفه الجوال في سخط و يعبث بأزراره ويقول في صوت ساخط:-

- (مفيش زفت شبكة... حاجة تقرف) ..

و زفر في حنق فسألته حائراً:-

- (هو أنت عايز الشبكة في إيه؟!)..

وكأنني سحبت فتيل قنبلته.. أخذ يصيح مطلقاً طناً من اللعاب:-

- (عشان أكلم البوليس... دي مهزلة إللي بتحصل دي) ..

واحمر وجهه وانتصبت عروق رقبته، فقال الملثم دون أن ينظر له:-

- (" فايز" لو عايز تطلب البوليس لحد يبقى أطلبه ليك.. وقولهم مين إللي قتل "روحية ".. وخبيت المسدس فين) ..

تراجع الأصلع كالمصعوق وقد ارتسمت على وجهه أمارات الذهول كما تدرس.. وأمسك صدره مع عرق غزير على وجنتيه ..

"فايز" مين و "روحية" من ؟ أي عته مغولي يحدث هنا.. ماذا عن " إبراهيم " و " بسنت " و "توفيق " و " ماريهان "؟! ..

أي مسلسل تليفزيونى رمضانى قد سقطت وسط حلقاته؟!.

تابع الملثم في شماتة:-

- (على العموم يا فايز.. إحنا قربنا نوصل.. وأبقى سوي معاها الموضوع ده.. أكيد هى وحشتك..).

انعقد حاجبي الأصلع أو فايز.. أين أنا؟! ..

وما الذي اقتربنا من الوصول إليه؟! ..

ماذا يحدث؟! ..

أرجوك استيقظ أيها التعس ..

استيقظ أرجوك ..

* * *

(ياله ملهبة؟!.. ملهبة؟!...

ملهبة يا بيه؟!.. ملهبة يا أبلة؟! ..)

* * *

لا حت اليابسة... أخيراً قد لاحت.. ظننت أننا لن نصل قط... حمداً لله.. مهلاً.. وصلنا لماذا؟!.. ما هذه السعادة الغامرة التي أنا بها؟!

قطع الملثم سيل أفكاري البائسة وهو يعوي:-

- (قربنا نوصل... حضروا نفسكوا)...

يالها من عبقرية.. واستنتاج لماح... وما هي إلا دقائق ورسونا... رسونا بلا هدى.. و بجانبنا القاربان الآخران.. وهبط الجميع.. بتباطؤ مرتاب غير مرتاح لما هو قادم ..

وجمعنا كالنعاج إلي صفوف على يد صيحات الملثمين وبدأنا بالتحرك وراء ملثم أخر ظهر من اليابسة والباقي وراءنا ..

لقد أرهقتني التساؤلات ..

صعدنا درجات متآكلة تدل على كونها موجودة منذ أزمان غابرة.. حتى من قبل أن تتزوج (فدوى) من (جمال) وقبل أن يسافر أباك إلى الخليج عائدا بالمروحة..

سرنا للحظات حتى برز هذا الممر.. ممر رفيع.. يمتد إلى نطاق الرؤية.. نظرت حولي.. يا إلهي هذا الممر رفيع.. وحولنا هواء عليل أخذ يعبث بوجهي وخصلات شعري ..

ما نوع الذي أنا به.. ما مسمي هذا؟! ..

سرنا بحذر.. مستنيرين بالملثم وغريزة البقاء.. حتى انتهى الممر... وبرزت إضاءة من نوع آخر حولنا ليظهر معه ملثم آخر وهو يتقدم بتؤدة قائلاً بصوت بارد كالموت.. صارم كالأب.. قاس كالدهر:-

- (إحنا هنا آخرنا معاكم.. ربنا يغفر لكم)..

صدرت همهمة وسط الحشود.. وضوضاء جزعة ..

وهنا ..

هنا فقط ظهر هذا الباب.. تعالت الصيحات.. وشهقات الرعب.. فقد ظهر بغتة.. باب.. ضخم كشهيتك..

باب يخيف... ولا أدرى معنى أن تجزع من باب؟!.. سأقرب الصورة.. إنه باب كباب الحصون.. أو قلاع العصور الوسطى... ولكن الفرق الوحيد.. هنا أن هذا الباب بلا نهاية... نعم لا نهاية لارتفاعه ..

نظرت لأعلى لأجد سحباً بيضاء متناثرة كطفل يلهو بوسادته غير عابئ بعقاب الأم ..

لا.. هذا أكيد حلم.. أنا أيقنت أنه حلم... لا إنه كابوس ولابد من الاستيقاظ منه.. بدأ الباب يصدر صريراً مزعجاً.. وأخذ يفتح رويداً رويداً مُخرجاً هالات من النور وسط السواد الحالك.. ومع انفراج الباب ظهر شيء... لا أدري كنهه.. لزج.. مضيء..

يمسك بيده ورقة.. صامتاً كان إلا أن حواراً صريحاً مسموعاً دوى برؤوسنا:-

- (الأسامي إللي حقولها دي... تقف صف على الشمال).

ما هذا الشيء؟!.. إنه لين.. بلا ملامح ، تابع بنفس الصوت الصامت مع انفراج الباب أكثر و أكثر مع خروج الأدخنة.. والأبخرة الغريبة:-

- (" فايز أبو الفتوح " ..)

إنه الأصلع.. تقدم في ارتجاف وقد تبلل بنطاله.. ليشير له الشيء - إذ صح المسمى - بالوقوف على الشمال ..

- (" سويلم الضو "... " دينا سليمان "... " رستم العشري ")

أخذت أراقب الموقف في هدوء واستسلام و...

- (" رائف أبو المجد "...)

تجمد الدم في عروقي... أنه أنا... تثبت في مكاني للحظات... ثم بدأت فى الحركة... أُقدم ساقا وأتمنى قطع الأخرى...

أخذ الشيء ينادي على بقية الأسماء والباب مازال في طريقه للانفراج حتى انتهى من اللائحة التي بيده.. لتزداد سرعة انفراج الباب.. تتضح تفاصيل المكان بالداخل رويداً رويداً ..

يا إلهي إنها نيران...

ألسنة لهب... فقط... وفي المنتصف ممر طويل بلا نهاية... مستحيل... إنها النهاية إذن.. ، أخذت أمسك بطرف قميصي وأشده بعبثية.. استيقظ أرجوك... الأمر أصبح مصطبغاً بالجدية ها هنا أيها التعس... استيقظ...

تعالت الصرخات والبكاء... الباب قد انفتح على مصراعيه... والشيء يقول بنبرة زادت من حدة وهول الموقف:-

- (محدش دخل هنا غير بإرادته... أنا أخري معاكم هنا.. كله يدخل)..

قالها وسار مختفياً وسط الظلام رغم الإضاءة المنبعثة منه ورغم الإضاءة الصادرة من كل النواحي ..، نظرت للباب.. فاقشعر بدني.. ولم أتحمل تلك الفكرة قط..

أنا لم أفعل شيئاً.. أُصمت...لقد فعلت وفعلت الكثير ولم أهتم ولكني لم أظن النهاية بهذه السرعة...

بدأت الحشود في الدخول داخل البوابة في استسلام.. والبكاء ممتزج بقطرات العرق.. ورائحة الخوف.

بدأت الحرارة تشتد هنا.. إنها النهاية يا صديقي ..

وما أن دخلنا كلنا.. حتى شرع الباب بالانغلاق في هدوء قاس.. وصمتنا من هول الموقف.. الباب يغلق وراءنا وألسنة النيران تتعالى أمامنا ونحن ثابتون في منتصف الممر ..

وسالت تلك الدمعة الساخنة رغماً عني.. وأنا أستوعب ما حولي.. انغلق الباب... ومصادر الإضاءة برتقالية ترسم على ملامحنا ظلالاً مرعبة.. وصوت ألسنة النيران مهيب.

أخذت أجول بنظري وسط الجميع.. إنهم بحالة مزرية مثلي تطل من أعينهم نظرة بلاهة.. وغباء مع ذهول.. مع اقتناع تام بذنوب وكبائر.. فُعلت بلا أدنى خوف أو تقوى...

خلعت سترتي... وأخرجت علبة سجائري المستوردة وأشعلت واحدة نافثاً دخاناً متوتراً... وأنا أسير للأمام.. و ..

- (يا أستاذ)..

رن هذا الصوت من خلفي فالتفت لأجد قزماً.. قزماً أعرج يلوح لي فقُلت:-

- (أنا؟!)...

اقترب مني القزم وهو ينظر لساعتي الثمينة في جشع :

- (أيوه حضرتك.. إنتوا الدفعة الجديدة صح؟!)..

فنظرت له في تساؤل فتابع:-

- (يعني إنتوا الفوج الجديد.. لسه داخلين طازة.. لو عايزين حتة تناموا فيها... أنا عندي)...

صاح " فايز " مستنكراً:-

- (فوج إيه؟!.. طازة إيه؟! و تناموا إيه؟! إحنا في مطروح؟...)

رمق القزم " فايز " نظرة نارية فقال آخر في ازدراء:-

- (اخلع يا عمنا مش طالبة (...) أُمك)..

أشاح القزم وهو يدافع رافعاً من معدل صوته:-

– (أنا عندى أماكن تناموا فيها.. فندق " الشعلة " وكام فندق كمان حتتوزعوا عليهم ... فرش نضيف ويطل على ميدان " أبو لهب " كمان ..)

قالها في فخر..

أي جنون هذا؟!.. كأنه يطل على النيل.. ثم بنسيون هنا؟! ..

همهم الجميع بين مزمجر ومعترض ومستنكر.. فقلت للقزم: –

– (الكلام ده هنا بجد؟!)..

صاح القزم وعينه لا تفارق ساعتي الثمينة: –

– (طبعاً يا باشا... محسوبك " فرج " تحت أمرك وأوامر البهاوات ..)

وتابع بجهورية: –

– (لو حد معاه شنط يسيبها هنا وإحنا حنوديها البنسيون) .

فاض الكيل.. من هذا؟!.. القزم غير كامل النمو.. وما المرض العقلي الذي يعاني منه؟! ..

تقدم واحد من الحشود ذو شارب منمق و شعر حليق وهو يقول: –

– (شو إللي عم بتقولوا يا زلمة؟! ..)

وتابع آخر في عصبية ساخرة: –

– (وده بكام في الليلة بقى إن شاء الله.. وكام نجمة.. يا غالي؟! ..)

قد يُهيأ لي.. أو إنها خدع الإضاءة... لكن هل.. زادت قامة القزم قليلاً أم أنا أهذي؟!

.. نعم أهذي ..

قالت سيدة أخرى في غطرسة وقحة: –

– (إنت ساكت ليه يا منيل؟! مترد ..).

لا إنه يزداد طولاً.. انعقد حاجباي ونظرت لملامحه... يا إلهي لقد احمرت عينه وانتفخت قليلاً...

- (أنت يابني.. أنت اتخرست؟!) ..

قالها آخر.. لم يلاحظوا.. ما لاحظت لأنني الأقرب له ..

لا لن أنتظر.. ما سيحدث.. فندق.. فندق أفضل من قزم يزداد طولا واحمراراً ..

فليكن ..

خلعت ساعتي وناولتها للقزم.. وأنا أقول بصوتاً عالياً:-

- (إمسك دي يا " فرج "... دي حاجة من تحت الحساب)

أمسك بها القزم في جشع والتمعت عيناه وهو يقول في أحترام:-

- (تحت أمرك يا باشا)...

ودس الساعة في جيبه وهو يقول لباقي الحشود:-

- (حد حيجي معانا؟!)...

صمت الجميع في تردد ناظرين لبعضهم البعض فتصاعد الدم في رأسي وأنا أقول لهم:-

- (أنا رايح.. حد حيجي معايا؟!) ..

- (أنا جاي)..

نطقها " فايز ".. متقدماً وتقدم أخر ..

وأخر ..

واضح أنهم كانوا يريدون بعضاً من الثقة ..

هنا قال القزم أو "فرج " في جشع ولزوجة:-

-(أتفضلوا معايا يا بهاوات... وحنلاقي العربيات مستنيانا برة)..

سيارات؟! ما هذا الخبال؟!

مياه مغلية...

ونيران...

وبوابات....

وأقزام يزدادون طولاً...

ما الذي ينتظرني؟!

نظرت لـ " فرج ".. وألسنة اللهب حولنا.. إذن.. فليكن.. ما يكن...

أخذت النفس الأخير من لفافتي وألقيتها بعيداً قائلاً لـ " فرج " في حزم:-

- (يلا بينا يا " فرج ") ..

* * *

(٢) قهوة آخر ساعة ..

[٢٣]

- (الأوضة حتعجبك يا باشا... نضيفة وزي الفل... بس هي عالية حبتين ..)

لم أُجاوب " فرج " بالطبع لم أُجاوبه وأنا داخل تلك السيارة العتيقة وأنظر لما حولي وقد غمرني الذهول... نحن في طريق.. وممهد... وحولنا نيران والسماء ليست كالسماء المعهودة.. إنها برتقالية.. وبلا شمس... أو حتى سحب.. فمن الطبيعي أن أصمت.. فهذا كله أكبر من أن يستوعبه عقلي ..

أشعل " فرج " لفافة تبغ وهو يثرثر مع السائق.. وأنا شارد الذهن مشتت... يكتنفني صداع لا بأس به.. متوتر مثل فيل دخلت أُذنه ذبابة... ما الذي أنا بصدده... ، قلت مشوش الذهن لـ " فرج ":-

- ("فرج " هو إحنا فاضلنا قد إيه ونوصل؟!)..

نظر لي " فرج " من زجاج المرآة وهو يقول في نفس لزوجته المهودة:-

- (فاضل ربع ساعة بتوقيت سعادتك)..

تساءلت في غباء:-

- (توقيت سعادتي إزاي؟!.. هي ماشية هنا إزاي؟! ..)

ابتسم " فرج " مشفقاً وتابع:-

- (يا باشا.... هنا كل حاجة ماشية بنظام تاني خالص.. حتتعود عليه مع الوقت) ..

صمت لحظات والهواء الساخن يصطدم بوجهي وعيني تطالع النيران المستعرة والسماء البرتقالية مشعلاً لفافة تبغ أجنبية.. وأرجعت رأسي للوراء في مرارة ..

لا أفهم.. وقد بدأت التساؤلات ترهقني ..

.. ترهقني فعلاً .

بدأت السيارة تهدئ من سرعتها فعدلت رأسي لأرى شيئاً شبيهاً ببوابات مصر الأسكندرية... أي نظام هذا؟! ، توقفت السيارة ليطالعنا من نافذة البوابة.. شخص نحيل أسمر حاد الملامح نظر بعينه داخل السيارة فتهللت أساريره عندما وقعت عينه على " فرج " فصاح:-

- (صباح الفل يا " أبو فرج ".. إزيك؟!) .

ابتسم " فرج " بدوره قائلاً:-

- (أنا زي الجن يا " عطية ".. أنا معايا أربع عربيات وربع نقل و...)

قاطعه " عطية " متبرماً:-

- (يا عم أنت بتتكلم في إيه؟!.. دا أنت خيرك مغرقنا.. عدي يا عمنا)..

ونظر لي مكملاً في خشوع:-

- (أستاذنا "رائف " بيه.. أتفضل..)

وضغط زراً ليرتفع الحاجز لتعبر إياه السيارة .

ليلوح " فرج " يده مودعاً وكذلك السائق بآلة التنبيه ، قلت مبهوتاً:-

- (هو عارف اسمي؟!)..

رد بلا اهتمام يضبط شيئاً بالساعة:-

- (طبعاً.. أنتوا الدفعة الجديدة... الأمن هنا عارف أساميكم كلها)..

لم أرد وأنا أنظر لتلك اللافتة التي لفتت انتباهي...

لافتة تحمل عبارة واحدة...

وهي كافية ..

عبارة واحدة عصفت بكياني ..

عبارة واحدة ..

.. تقول ..

(ابتسم.. فأنت في النار) .

* * *

ماذا يحدث؟! ..

أنا هنا بصدد حياة...

حياة سائرة.. سيارات.. وإشارات مرور معلقة... بشر.. مع اختلاف ملابسهم... وأحجامهم و ألوانهم ..

مدرسة " الشعلة الحمراء " الثانوية بنين.. سوبر ماركت " اللهب الأبيض " أأفقد الوعي.. أم ماذا؟! ..

لافتة زرقاء خطت عليها اسهم بجميع الاتجاهات (الدائرى المولع) ٥٠٠ متر ميدان (أبو لهب).. أشارات مرورية وصوت من السيارة التى بجانبنا يصيح:

- (صديقى المتعذب النهارده وسط النار زحمة جدا عشان فى حادثة موقفة الدنيا هناك.. وننصحكم باستبداله بوصلة نارين.. صباحك لذيذ ودلوقتى....)

لم اهتم ببقية ما قال لان ما سمعته يكفى.. هنا ظهر شيء حجب الرؤية بجانبي فنظرت لأعلى... إنه جمل.. نعم جمل.. يعتليه إعرابي... يرتدي زياً قديماً أراه دوماً في التلفاز... نظرت لردة فعل السائق و " فرج ".. كأنهما يرون شيئاً اعتادا عليه.. لا بل وسئموه.. إذن فأنا الوحيد هنا المذهول...

هنا وجدت أمامي ميداناً واسعاً احتل منتصفه تمثال كبير لشخص بدت عليه الغلظة والصرامة والتوعد... ليقول " فرج " :

- (ميدان " أبو لهب ")...

وأشار لمبنى وهو يتابع:-

- (وآدي الفندق)...

ودارت السيارة حول الميدان وتوقفت أمام الفندق ليفتح " فرج " بابه ويهم بفتح بابي.. فترجلت من السيارة.. وأنا أنظر حولي.. الجميع هنا يمارسون حياتهم الطبيعية ..، دعاني " فرج " لدخول الفندق.. فدخلت وراءه دون اعتراض.. لأجد مدخلين... ومكتب استعلامات... وامرأة حسناء تقف وراء المكتب... وشخص اسود وبديهي ان اسمه "عثمان" أو "إدريس"... إنه فندق...

فندق كأي فندق يحترم نفسه ..،

و " فرج " يوزع ابتسامته الصفراء إنه معروف في هذا المكان.. أخذ المفتاح من الحسناء وهو يقول:-

- (ألف شكر يا " روحية "... نازلك تاني) ..

وغمز بعينه وهو يضيف:-

- (ماشي يا حتة؟!)..

فأطلقت " روحية " ضحكة أنثوية ساخنة فتعالت ضحكات " فرج " وهو يبتسم:-

- (أيوه كدة.. تصدقي أنتِ خسارة فيك الرصاص يا بت)...

قالها وسار.. وأنا وراءه.. صاعدين درجا أحمر اللون.. سمعت هذا الاسم قبل ذلك.. " روحية " ولكن لا أتذكر أين؟! ..

إنه الدور الثاني.. رواق طويل مُكتظ بالغرف.. نسير فيه بهدوء حتى توقف " فرج " عند غرفة حفر عليها " ٧٠٧ " داساً المفتاح في الباب.. داعياً إياي للدخول..، غرفة نظيفة منظمة.. بها دورة مياه.. وفراش وثير ومرتب.. ومقعدان وأريكة.. ومنضدة.. وصوت " فرج " يقول من خلفي :.

- (دي أحسن أوضه عندنا... وتطل على ميدان " أبو لهب " عدل... ولو عايز أي حاجة ..أأمرني)...

وناولني المفاتيح وتابع :-

- (أي خدمات يا كبير؟!) ..

- (شكراً يا " فرج ") .

قلتها بحلق جاف فانصرف غالقاً الباب وراءه ..

خلعت حذائي وألقيته بعبثية.. وجواربي المتحجرة.. متجهاً لدورة المياه.. وأنا أحل أزرار قميصي.. وفارجاً سحابة بنطالي متجهاً إلى ..

إلى أين؟!... لا يوجد سوى مغطس.. وحوض.. فقط كيف سأقضي حاجتي؟!... كيف هذا؟! ..

لست أفهم...

خرجت من الدورة متوجهاً للنافذة مزيلاً ستائرها لأطالع المنظر الغريب.. أين أنا؟!...

وماذا يجري؟! ..

.. استلقيت على الفراش... كان وثيراً في حقيقة الأمر.. ولا أكذب عليك.. لا أتذكر...

متى ولا كيف قد دخلت في هذا الثُبات العميق ..

ولكني لا أنكر...

لقد نمت ..

كما لم أنم من قبل

* * *

(ابتسم... فأنت في النار)

* * *

- (ما بدري يا بيه ..)

قالتها فتاة جميلة قمحية البشرة قصيرة نوعاً في تبرم وهي تنظر لي نظرة عتاب.. فجلست.. ملتقطاً أنفاسي وأنا أقول:-

- (السكة والله يا " ماجي ".. البلد بقيت زحمة أوي.. أنا سايبها كانت غير كده...)

نظرت لي " ماجي " في دلال وهي تقول:-

- (أعمل حسابك مفيش سفر بعد كدة يا سي " رائف "..)

ارتسمت ابتسامة على ركن فمي.. لكم أعشقها وأعشق تفاصيلها.. كائن ملائكي... صغير.. أخذت أُطالع وجهها شارداً غير مستمع لذلك الحديث الطويل.. هنا أمسكت بأناملها.. وأنا أقاطعها:-

- (" ماجي "... أنا بحبك ..).

تخضب وجهها بحمرة الخجل وهي تقول:-

- (إشمعنى؟! ..)

- (يا باردة ..)

ابتسمت وقالت في حنان:-

- (وأنا والله بحبك... ومعرفش أعيش من غيرك.. ارتحت؟! ..)

وأشارت إلى النادل الذي أومأ لها بالإيجاب.. ثم نظرت لعيني مباشرة وهي تقول برقتها المعهودة:-

- (النهاردة كام يا " رائف "؟!)..

لم أفارق عينيها وأنا أقول:-

- (معرفش يا حبيبتي.. ليه)؟! ..

أشارت ورائي.. فنظرت إلى حيث ما تشير لأجد النادل يحمل تورتة كبيرة تحمل حرفR كبيرا أعلاها...

و...

- (" رائف" بيه....)

قبلت يديها وهي تبتسم في حياء و...

- (يا " رائف " بيه ..)

لماذا تهتز الصورة؟!.. إنني أبتعد.. سابحاً في السواد الحالك.. لقد اختفى كل ما حولي... إلا ..

- (يا " رائف " بيه...)

و...

انتفضت من على الفراش.. فجأة.. لأجد " فرج " أمامي.. يبتعد للخلف بدوره ويقول:-

- (أنا قولت أصحيك.. مكنش قصدي أخضك ..)

لم أنطق.. فقط أخذت أعبث بعيني.. في عبثية ... إذن هو حلم.. رائحة النوم لا تزال تفوح مني وأنا أتساءل في هدوء:-

- (هو أنا نمت كتير يا " فرج "؟!) ..

ابتسم " فرج " قائلاً في مرح:-

- (نص ساعة بتوقيتنا... و ١٨ ساعة بتوقيت سعادتك) ..

ابتسمت رغماً عني.. وأنا أقول:-

- (معاك سجاير؟! أصل سجايري خلصت ..)

أخرج " فرج " علبة سجائر... لم أرها من قبل وناولني لفافة تبغ منها وهو يقول:-

- (ده أنضف نوع هنا.. " فاير " أحمر ..)

أمسكتها منه وأنا أنظر لحرف ال " F " الفضي.. وألتقط قداحتي مشعلاً إياها.. فتذكرت قائلاً:-

-" هو إللي عايز يعمل زي الناس.. هنا يعمل إيه؟! .."

نظر لي " فرج " في غباء وهو يتمتم:-

-" وهي الناس بتعمل إيه؟! مش فاهم يا " رائف " بيه ..

قلت في حدة:-

-" حمام... حمام يا " فرج "... عايز أخش الحمام..."

نفس الغباء ويد تشير لدورة المياه بصوتاً باردا وعبارة أيقظت المارد بداخلي:

- (قدامك يا باشا.. خش).

انتفضت عروقي وأنا أصيح :

- (عايز أتسير يا جدع مالك فى إيه؟!).

ضحك " فرج " مزوداً من حدة غضبي و عصبيتي قائلاً:-

- (لأ.. مفيش هنا..)

- (يا نهار أسود ..)

أكمل ضحكة وهو يحاول تهدئتي:-

- (ثواني يا "رائف" بيه من غير نرفزة... أنت مش عايز تخش الحمام.. أنت كنت عايز تخش تعود.. مش أكتر ..)

امتقع وجهي وأنا أسأل في غباء:-

- (يعني هنا محدش بيخش حمام؟! ..)

- (لأ.. ولا حتحتاجه... محدش هنا بيخش الحمام.. ومش بس كده.. محدش بينام.. هنا مفيش نوم.. وبعدين ..)

قاطعته محتجاً:-

- (أنت حتمشيني على مزاجك؟!)

فصمت ونظر إلى الأرض وقال بهدوء مستفز:-

- (رائف بيه... إللي أنا.. وأنت فيه ولا بمزاجي ولا بمزاجك.. بس هنا محدش بيخش الحمام... ولا بينام.. ده واقع.. مش معنى كده أنك حتبقى عايز تخش ومش حتلاقي... لأ أنت أصلاً مش حيجيلك الإحساس ده ..)

انعقد حاجباي ومطلقاً سبة بذيئة وأنا ألقي بدخان سيجارتي من انفي لأقول في بطء:-

- (متزعلش أني قفشت.. بس حط نفسك مكاني) ..

هتف " فرج " في تودد محاولاً التخفيف من توتري:-

- (أنا كنت مكانك... بس اتعودت.. هدي نفسك أنت بس ..)

ران الصمت علينا لأزفر زفرة حارة.. عابثاً بعيني واقول:

- (هو هنا في قهوة؟! بن وكدة؟! ..)

افتر ثغر " فرج " عن ابتسامة مشققة وهو يقول:-

- (فيه يا " رائف " بيه.. أنا حقعدك على قهوة حلوة هنا.. قوم ألبس.. أنا جبتلك هدوم ..)

وأشار إلى ملابس داخل خزانة الملابس فنهضت... مبدلاً ملابسي.. وأنا أسأله:-

- (هي اسمها.. إيه القهوة دي؟! ..)

ودست السيجارة في المطفأة وأنا أتابع:-

- (حلوة على فكرة " الفاير " الأحمر دي ..)

فابتسم وقال:-

- (إحنا حنقعد على قهوة اسمها ..)

صمت ثم أضاف:-

- (آخر ساعة ..)

* * *

- (وعندك واحد دوبل إسطنبلي.. مع اتنين شاي في الميزو...)

قالها النادل بصوت جهوري.. وأنا أنظر لما حولي غير مستوعب.. إنها قهوة.. قهوة كما يقول الكتاب.. مواجه لميدان " أبو لهب ".. يتراص عليها البشر.. حياة عادية.. عادية إلى حد الغباء.

أخذت نفساً من " الفاير " الأحمر.. وأتابع بنظري ما يحدث و " فرج " يرص الحجر على نرجيلته ...، هنا برز شخص عجيب الملبس وجلس بجانبي وهو يقول بصوت رخيم:-

- (السلام عليكم ..)

فرددت عليه بدوري وأنا أُطالع ملابسه الغربية.. إنه عربي.. من نمط.. نأخذ من كل رجل قبيلة.. أو هلموا يا رجال.. أو ابغى هالغلام أو من من يغرقون لحاهم بالنبيذ عند تجرعه بعمامته ولحيته المدببة.. المرسومة بعناية.. فانتابني الفضول فقلت متردداً:-

- (أنا " رائف " وحضرتك؟! ..)

ابتسم بكياسة وهو يتمتم في ترحاب:-

- (" الفارس بن عبد المهيمن ".. من كبار رجال الشام... تاجر للجمال والرقيق ..)

إنها الفصحى إذن ولكن رجلاً كهذا تبدو عليه الكياسة والأدب.. ما الذي أتى به هنا؟! اقترب النادل وهو يحمل القهوة ويرص محتويات صينيته على الطاولة.. وفي سرعة البرق التقطت القهوة في سعادة و نهم... من علمني إياها.. لم يعلمني كيف أبتعد عنها

... إنها تسري في عروقي... عشقي لها يبتعد كل البعد.. عن أنها مجرد قهوة... إنها محركي... في تلك الحياة.. أجرعها كي أحيا وأفكر وأضحك

وأبكي.. ولك أن تتخيل مجتمع الحصاوي الذي استضفته داخلي.. وأتكفل بنفقاته وإقامته... ولكم تم تحذيري منها.. ولم أستطع ..

إنه العشق يا صديقي... .

جرع الفارس جرعة من كوب شايه وهو يقول:-

- (ومن أين أنت يا سيد " رائف "؟!)

قلت له دون أن تفارق عيني القهوة:-

- (من مصر يا سيد " فارس " ..)

مهلاً.. أنا لم أنطق الفصحى يوماً.. فكيف هذا؟!.. رميت عبارة تجريبية:-

- (ومن أين أنت يا سيد " فارس "؟! ..)

- (أنا من الشام.. من كبار رجالها... ولي صيت لا بأس به.. أتعرف ؟ أنا من عشاق.. مصر وأهلها ..)

وصمت مقترباً مني قائلاً في مكر:-

- (نساؤكم آية في الجمال.. إنهن آية الله على الأرض)

ابتسمت.. فابتسم بدوره وأنا أتذكر نساء الشام في تلك المسلسلات الرمضانية.. على الفضائيات.. لا هذا الرجل واهم.. لا تستطيع.. ومع احترامي للمرأة المصرية.. أن تقارن زهرة الزنبق التي تناثر عليها الندى مع نحلة أو اثنتين.. برباط حذائي.. مهلاً أنا أقول رأيي صريحاً.. فلا داعي للتبرم أو عبارات السب الساخطة الهامسة... إنه مجرد رأي فمن المستحيل إعطاء سلالة بين الغزلان والقنفذ البري.. أو.. رباط حذائي.. أعلم.. دماء صمغية الطابع سأصمت ..

قلت له في استنكار واضح:-

- (لا يا رجل... أنا أختلف معك... فنساء الشام لآلآء.. متحركة...)

قهقه الرجل وهو يستطرد ضاحكاً:-

- (غريب أنت أيها الإنسان.. لا يوجد شخص يعجبه ما بيده ..)

هنا ظهرت عجلة حربية... نعم عجلة حربية.. وجواد يجر العربة في قوة وبأس.. ويمسك بلجام الجواد فارس مفتول العضلات يرتدي زياً حربياً.. له شعر طويل مجعد.. تبرز على وجهه الصرامة وقوة الشكيمة.. فنظر له الجميع نظرة عابرة... وعادوا يتبادلون أحاديثهم.. إذن فهذا المحارب من رواد المقهى .

وقف النادل ونظر للعربة ورفع عقيرته للسماء وقال بصوت جهوري:-

- (وعندك واحد ميلك تشيك فراولة.. ومعسل ..)

وأضاف:-

- (وكرسي بامبو لعمك الإسكندر ..)

وسار مبتعداً.. لم أعد أتعجب... لقد فهمت قواعد اللعبة... لكن.. أمتصور؟! أنا أجلس على القهوة.. ومعي على نفس القهوة الإسكندر الأكبر...

هبط الإسكندر من عجلته الحربية وأعطى اللجام لشاب واتجه إلى مقعده.. ملقياً التحية على الجميع ..

- (سيدي لقد حان الوقت ..)

قاطع هذا الصوت الأنثوي حبل أفكاري.. إنه أتى من ناحية الفارس فالتفت إليه بحثاً عن مصدر الصوت الأنثوي الناعم ورائحة العطر الفاتنة تلك... لترتطم عيني بفتاة ..

فتاة لم أر بحياتي جمالاً مشابهاً... شعر حالك السواد يحتل منتصفه وجه ملائكي وعينان آخاذتان وحسنة على الخد الأيسر ..

هنا نظر لي " فارس " وهو يقول في أسف:-

- (معذرة يا سيد " رائف "... أنا مضطر أسفاً للانصراف)

ومد يده مصافحاً إياي.. فصافحته وهو يكمل في تودد:-

- (لقد تشرفت بمعرفتك يا فتى مصر ..)

لم أرد.. وكيف أرد.. وهذا الملاك أمامي.. لقد تخدرت... سار بهدوء مبتعداً وبجانبه ذلك الاختراع.. حتى ذابا وسط الزحام .

أشعلت سيجارة " فاير " أحمر.. وأنا أجرع من قهوتي محاولا للمة أفكاري وترتيبها.. وعيني تطالع من بالقهى... ثمة رجلين بملابس فرعونية يلعبان الشطرنج ومنهمكين في اللعب.. وها هو الإسكندر ينفث دخان نرجيلته ويجرع من مشروبه البارد.. هل هذا حقيقي؟!... ارتفعت عيني لتمثال " أبو لهب ".. وملامحه العاتية المتوعدة المنذرة.. لقد صدق " فرج " لم أشعر بحاجتي لدخول دورة المياه.. غريب هذا... ولكنه ليس بغرابة ما حدث.. سماء غريبة تتناثر بها النجوم مع تدريج لوني برتقالي وألسنة لهب.. غريب هذا المكان وكيان غير متزن... أعتقد أنه من الأفضل أن أعود إلى غرفتي... لا أريد أن أرى أحداً.. سئمت كل هذا الهراء...

نهضت ملتقطاً علبة سجائري وقداحتي.. وأخذت أرتدي سترتي وهممت بالبحث عن " فرج " لأجده يتحدث مع رجلين على طاولة أخرى.. يبتسمون ويثرثرون... توجهت نحوه.. فطالعني ليقول لصديقيه:-

- (الأستاذ " رائف أبو المجد " جديد هنا... رجولة وزي العسل ..)

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجهي.. فأشار إلى الرجلين.. أحدهما أصلع... يرتدي عوينات سميكة.. وشارب كث أبيض وتجاعيد لا بأس بها ..

- (الأستاذ " ماجد أبو الفتوح " مثقف وأديب.. صاحب حركة " نحو نار أفضل)

فأومأ برأسه مجيباً إياي ليشير " فرج " للنحيل الآخر صاحب اللحية المهذبة ويقول:-

- (وده بقى الأستاذ " سليمان الجلاد " رجل أعمال كبير أوي وبركتنا هنا...)

رد (سليمان) ممتنا:

_(يا اخى كله بفضل الله).

قلت في هدوء:-

- (فرصة سعيدة جداً ..)

ابتسم " ماجد " وهو يقول في سخرية:-

- (يا راجل.. أنت حتكدب من أولها؟!.. أنا عارف أنك في حالة متسمحش أنك تتعرف على حد.. بكرة تتعود...)

وأشار بيده حوله وهو يتابع:-

- (زي كل دول ..)

فابتسمت ليتابع مرة أخرى:-

- (طب قولي يا أستاذ " رائف "... إيه هي أقدم مزاولة في التاريخ؟!)

قلت متسائلاً:-

- (يعني إيه مزاولة؟! ..)

ضحك " فرج " وهو يقول ملوحاً بيده:-

- (يعني اشتغالة... حوار يعني ..)

فارتسم شبح ابتسامة باهت رغماً عني وأنا أقول:-

- (إيه يا سيدي؟! ..)

صاح " ماجد " ممسكاً بيده في حركة مسرحية:-

- (شُلت يداي...)

فاقترب (سليمان الجلاد) مني وهو يصيح:-

- (إنها سليمة...)

وانفجر الثلاثة ضاحكين بغتة مع سمة شخرة أو أخرى لتدمع عيونهم. ، أخذ (فرج) يسعل من جراء روث المعسل داخل أركان صدره متغلبا على ضحكاته متمتماً:-

- (قديمة يا " ماجد " بيه ..)

فرد عليه "ماجد " ضاحكاً:-

- (أُمال ضحكت عليها ليه؟!...)

وضحك الثلاثة مرة أخرى.. لينظر لي " ماجد " قائلاً:-

- (طبعاً أنت شايف تلاتة هبل قدامك بيضحكوا ..) .

ألقى ما تبقى من سيجارته وهو يُكمل في تأثر مصطنع:-

- (بس تعرف... تضحك أحسن ما تعيط.. حتى لو كنت بتضحك على نفسك... وفرصة سعيدة يا أستاذ " رائف " لو عوزت تبقى الأهبل الرابع ترابزتي موجودة في أي وقت ..) .

وانحصرت ملامحه لتفرز ابتسامة بأسنان كاملة العدد تذكرك بتعبير الـ " ياهو " الضاحك ، .. فابتسمت وقمت بتحيتهم متمتماً في أذن " فرج " بصوت خفيض:-

- (حساب القهوة كام يا " فرج " ..)

قاطعني (ماجد) – ولا أدري كيف سمع عبارتي – في صرامة وقحة:-

- (بقولك إيه يا عم.. أنت ضيف.. وده واجب علينا وياريت متتكلمش كتير.. عشان أنت مش حتحاسب ..)

قلت متلعثماً:-

- (بس...)

- (يا عم.. مفيش هنا قطط.. فكك من البسبسة... وحشوفك تاني) .

- (في رعاية الله يا اخ "رائف"..) .

ابتسمت وودعتهم.. متجهاً إلى الفندق في خطوات هادئة مشتتا.. صاعداً الدرج.. ومطالعاً غرفتي " ٧٠٧ " داساً المفاتيح.. دالفاً لغرفتي ..

استلقيت على الفراش عاقداً زراعي خلف رأسي... ناظراً لسقف الغرفة بغباء ..

لا لن أفكر.. فالتفكير هنا لا طائل منه.. نهضت ملتقطاً علبة سجائري.. مشعلاً لفافة.. وأنا أنظر حولي في ملل مخرجاً الدخان من أنفي... لم أعتد أن أصبح هكذا.. بلا معلومات أو خلفية... لا أستطيع العيش هكذا حاملاً طناً من التساؤلات.. زفرت زفرة ملتهبة حانقة.. وتوجهت للشرفة في تثاقل.. لا شيء... ميدان " أبو لهب " قابع كما هو... بنفس نظرته الصارمة العبثية.. الماجنة.. قلت حركة السير قليلاً ..

زفرت دخان سيجارتي ناظراً للنجوم النارية بالأعلى.. يبدو إنني سأعتاد هذا الهراء... فأنا لا أملك صلاحية الاختيار... وقد انتقل من خانة المتفرج المتوجس لخانة العضو الفعال في هذا المكان.. من يدري؟!،

لماذا يقف هذا الشاب تحت الفندق ويلتفت حوله في ريبة حذرة؟!.. كان طويلا قمحي البشرة.. ذا شعر ناعم فاتح اللون.. وعيني ثعبان.. يحتضنها السواد من كل النواحي يلتهم لفافة تبغ بنهم غير طبيعي كأنه يرضع من ثدي أمه..، اقترب منه شاب آخر رفيع يبدو عليه الثراء نحيل البنية حاد النظرات..

- (عايز قرش ..)

قالها في ارتياب.. فابتسم الآخر وأخرج شيئاً من جيبه ودسه في يد النحيل... شيئاً مغلفاً بسلوفان أحمر... ليناوله النحيل المال بدوره قائلاً:-

- (لو أستفة حلوة حرجعلك تاني ..)

ابتسم صاحب عيني الثعبان في دهاء وثقة قائلاً:-

- (يبقى حترجع تاني.. دي طرف يا صاحبي ..)

أخذ نفسا من سيجارته – العاشرة تقريباً – وهو يتابع :-

- (مش عايز.. " دول "؟! ..)

أدار النحيل رأسه بالنفي وهو يقول :-

- (مليش في الكيميا.. ولا القرقشة وزي ما قولتلك لو أستفة حلوة حرجعلك... تاكس ..)

ألقاها محاولاً اللحاق بالسيارة الأجرة الحمراء... والآخر يتابعه بنظرات نارية مخرجاً المال من جيبه وهو يتمتم :-

- (أكيد حترجع تاني عشان تاخد فلوسك ..)

وارتسمت ابتسامة ماكرة على طرف فمه وهو يشعل لفافة أخرى ويتابع :-

- (لما تعرف أنك جبت قرش ..)

وأضاف بصوت كالفحيح :-

- (خشب ..)

وأخذ يقهقه.. وأطلقت صرخة رغماً عني عندما انتهت سيجارتي وبدأت تشتعل بأناملي... قازفاً إياها من الشرفة.. فنظر هو لأعلى... باحثاً عن مصدر الصوت ..

وتصادمت عينانا... ، بريقاً عجيباً يكنه هذا الشاب بعينه ونظرة.. متحدية.. متبجحة الطابع.. تدل على عدم مبالاة بأي شيء ..

صاح مبتسماً في اقتضاب :-

- (سليتك صح؟!...)

لم أرد... فبالنسبة لي الموقف كله غير منطقي أو محتمل التصديق.. غمز لي وضحك في مجون وهو يلوك سيجارته وضم يده مشكلاً مسدساً مصوباً إياه نحوي.. مطلقاً صوت الطلقة بفمه في حركة مسرحية...

.. واستدار وسط ضحكاته في ثقة وهو يقول دون أن يستدير :-

- (أما تنزل برنامج الكلام في الويندوز بتاعك أبقى أجيلك ..)

.. وذاب وسط الطرقات.. وصوت ضحكاته يخفت رويداً رويداً...

هل توجد مخدرات هنا أيضاً؟!

أي عبث هذا؟!

ارتميت على الفراش ناظرا لسقف الغرفة.. ثم وضعت الوسادة على وجهي

سأحاول النوم ..

ماذا؟! ..

ليس هناك نوم هنا؟! ..

أعلم ..أعلم أيها المتحاذق... ولكن مااعتدت عليه طوال سنوات عمري... لن أستطيع تغييره...

واصمت.. فأنت ليس سوى وغد زنيم يجلس على مؤخرته.. المشحمة تعالى هنا مكاني وافعل ما شئت... وها هو النور ..

سأنام...

تصبح على خير ..

...

...

فعلاً لقد جننت...

أنا أتشاجر مع من؟!...

* * *

قال الملثم في صرامة :-

- (" فايز " لو عايز تطلب البوليس.. لحد يبقى أطلبه ليك ..)

- (وقولهم مين إللي قتل " روحية ".. وخبيت المسدس فين؟! ..)

* * *

(٣) نحو نار أفضل

* مفكرة [٢]:-

- (ما هو المكان الذي لا تسمع فيه كلمة شُفيتم؟! ..)

اتصل على الأرقام المدونة أسفل الشاشة.. لتكسب ٣٠٠٠ جنيه .

[فايز الحلقة السابقة]

" زكريا عبد الصبور " ..

مركز شلاطة

* * *

- (كل سنة وأنت طيب يا قلبي...)

يالها من ابتسامة حانية.. ووجه ملائكي... ابتسمت بدوري.. ليضع النادل الكعكة المحتل على قمتها حرف " R "... لتخفُت الأضواء ويدوي في المكان صوت موسيقي...

- (سنة حلوة يا جميل... سنة حلوة يا جميل...)

طبعت قبلة حانية على وجنتي وأمسكت بيدي وهي تقول:-

- (عقبال ميت سنة يا حبيبي...)

عانقتها في اشتياق وأنا أضيف:-

- (وأنتي معايا يا " ماجي " ..)

وصمتنا وهي تمسك بالسكين لتناولني إياه.. والتصفيق يتزايد حولنا ..

آه لو تدري... يا أميرتي كم أعشقك...

آه لو تدري أنك من تبقى لي من حياتي حقيقيا... مبتعدا عن الزيف والأكاذيب... تربعتي في شرفة قلبي تطالعي جريدتك الصباحية المعتادة...

- (" رائف ")

قطعت حبل أفكاري فنظرت إليها مبتسماً.. فقالت ودمعة ساخنة تنحدر من عينيها بصوت متهدج ملتاع:-

- (عشان خاطري.. متسافرش تاني.. عشان خاطري يا حبيبي... أنا محتجاك قوي...) .

هممت بالرد.. ليقاطعني دقات جوالي فأخرجته لأطالع الرقم على الشاشة إنه رقم خاص... بلا رقم.. ضغطت زر الفتح وقلت:-

- (" رائف أبو المجد "... مين معايا؟!..)

ليرتطم بأذني صوت رخيم معدني:-

- (" رائف "... امشي من المكان إللي أنت فيه... وبسرعة..)

انعقد حاجباي لأقول في توتر:-

- (مين معايا؟! ..)

- (مش حيفيدك مين معاك... اسمع إللي بقولك عليه.. مش وقت نصاحة... سلام ..)

وانغلق الخط.. نظرت حولي متوتراً.. مطالعاً الوجوه بالمكان.. ممسكاً بيد " ماجي " بحركة غريزية.. وأنا أصيح:-

- (" ماجي ".. إحنا لازم نمشي... لازم نمشي من هنا.. يلا..)

قلتها وأنا أسير بيدها بخطوات واسعة نحو باب الكافيتريا.. وسط دهشة الجميع...

أهي مزحة؟! بمناسبة عيد مولدي؟!...

خرجنا من الكافيتريا وهي تتساءل في تبرم:-

- (" رائف " فيه إيه؟! ..)

لم أرد.. أخذت خطواتي تزداد لتقترب للعدو.. وتوتري يزداد وهي تتساءل:-

- (رد عليااا... فيه إيه؟! ..)

دلفت إلى أحد الأزقة أعدو.. وهي ورائي... تباً أين سيارتي؟!.. ألهث من فرط التوتر.. الأدرينالين يفرز بحدة ..

صدري يعلو ويهبط.. و ..

شهقت " ماجي " بغتة...

وبدأ ثقل يديها يزداد...

فاستدرت... يا إلهي...

- (لاااا...)

لن يحدث... لن أعيش بدونك... ،سال الدمع من مقلتي وأنا أحتضنها ناظراً لذلك الثقب الدامي أعلى جبهتها... ونظرة الذهول والرعب بعينها

- (" ماجي " لاااا...)

أيها الأوغاد... لقد اقتلعتم قلبي... اقتلعتموه.. بمنتهى الوقاحة .

أخرجت محقناً من جيب سترتي ودست النصل بالمحقن لأغرزه بوريدي بعنف...

إذن فهي النهاية...

لتكن نهاية ممتعة...

نظرت ورائي لأجد أربعة رجال أشداء يترجلون من سيارة ضخمة بلا أرقام... ابتسمت بمقت.. ونهضت واقفاً وفي عيني أعتى أمارات المقت والكراهية... والمرارة...وجسدي ينتفض غضباً... وعروقي تتصلب مع اقترابهم وهنا...

وهنا فقط.. بدأت بالتحرك.. مطلقاً صيحة هادرة ..

وأنا أعدو نحوهم.. مباغتاً الأول بانقضاضة تفاداها بمهارة... ليركلني في ظهري.. فاستدرت لاكماً إياه بمنتصف وجهه ليصدر صوت تهشم الأنف..... منحنياً في سرعة جانباً متفادياً لكمة الوغد الآخر... لأغرز سن المحقن بعنقه لتجحظ عينه ويطلق شهقة متألمة.. أيها الخنازير.. ستندمون على ما فعلتم...

و...انهال أحدهم بكعب مسدسه على رأسي.. ألم غاضب عصف بكياني... امتزج طعم العرق بطعم الدم... وأنا أسقط أرضاً .

لا... لن أفقد الوعي.. ركلت الذي أمامي بين ساقيه لينحني صارخاً.. موجهاً لكمة قوية لحنجرته...

الدوار يكتنف رأسي... والتردد الخاص بالصورة بدأ يختل ..

أمسكني أحدهم من تلابيبي ليحملني كأقراص إمساك

لاقياً إياي بالجدار... لأرتطم به بقوة باثقاً بعض أسناني...

هل هي الهزيمة؟! ..

أخذ يمسح أحدهم الدم من شفتيه وهو يقول لزميله بالإنجليزية الشعبية :-

- (هيا " فرنارد " لننجز مهمتنا... إنه كالذبابة لا يهدأ ولا يكن..).

أخرج (فرنارد) من جيب سترته صاعقاً كهربياً.. وهو يقترب مني.. وسرت الموجات الكهربية في جسدي لتنتفض عضلاتي و " فرنارد " يبصق الدماء من فمه وهو يقول في سادية غارزا الصاعق أكثر وأكثر :-

- (إلى اللقاء أيها المخنث...) .

ألم صعب.. اصطكاك الأسنان صعب.. التيار الكهربي صعب.. أدمعت عيناي... وأنا مفترش الأرض.. لأطالع وجه " ماجي " بنفس النظرة المتسائلة... المذهولة.. بنفس الثقب الدامي...

" ماجي " ... طفلتي الصغيرة...

أقسم أن أنتقم... أقسم بقلبي وبحبي لك أن أنتقم... الصورة تهتز...

رائحة الشواء تتعالى...

.. الإضاءة تتراقص في عبثية ..

حبيبتي...

" ماجي "...

ظلام...

.. ظلام فقط ..

وصمت ..

* * *

- (سنة حلوة يا " رائف "... سنة حلوة يا جميل).

* * *

- (" رائف " بيه... القهوة يا " رائف " بيه ..)

نهضت كالمصعوق فجأة.. فنظر لي " فرج " مبتسماً وهو يضع القهوة بجانبي قائلاً:-

- (شكلك بتحب المصارعة...دي نفس قومة "الأندر تيكر"..عارفه؟! ..)

ياله من ألم يسري في عروقي.. إذن إنه حلم... أنا مازلت هنا... داخل حجرتي بالفندق... وهذا هو " فرج "... وهاهي قهوتي...

- (وأخوه شقيقه " كين "... بقى ضده.. شوف الأخوات بيعملوا إيه في بعض...)

التقطت لفافة تبغ وأشعلتها ناظراً ل- " فرج " وهو يحرك فمه.. يبدو أن " فرج " يتحدث ..

- (أستاذ " رائف "... هو مين " ماجي "؟! ..)

جلفت للحظة ونظرت له طويلاً وأنا أرد في بطء:-

- (هو أنا كنت بتكلم وأنا نايم يا " فرج "؟!..)

تردد " فرج " لحظة حتى حسم أمره قائلاً:-

- (وكنت بتعيط..)

ابتسمت في هدوء متناولاً القهوة قائلاً في مرارة:-

- (كانت حبيبتي يا " فرج "..)

صمت " فرج " ثم أخذ يتساءل في تردد:-

- (وهي فين دلوقتي؟!...)

أخذت أعتصر ذاكرتي... لم أجد إجابة... فأنا لا أتذكر الحلم أو تفاصيله.. كل ما أذكره.. وجهها الحاني.. وابتسامتها المضيئة.. فقلت وأنا أعبث بعيني في إرهاق:-

- (مش فاكر.. مش فاكر أي حاجة...)

- (ولا حتى دي؟!...)

قالها وهو يمسك بمرآة صغيرة ويصوبها نحو وجهي...

تراجعت مبهوتاً... وجحظت عيناي.. إنه وجهي... متفقين.. ولكن من أين أتت تلك الكدمة أسفل عيني اليمنى؟! ..

أنزل " فرج " المرآة وهو يقول لي مضطرباً:-

- (" راتف " بيه... النوم هنا ممنوع... محدش بينام وأنا قلت لسعادتك قبل كده.. أنا مرضيتش أقولك إنه محرم... عشان أنت لسه جديد هنا... بس صدقني يا أستاذنا.. إللي بينام هنا... ممكن ميقومش...)

انعقد حاجباي وأنا أردد:-

- (مبيقومش؟!.. إزاي يعني؟! ..)

صمت " فرج " ولم يرد.. وران الصمت علينا لفترة كأنها دهر... ليـنهض "فرج" قائلاً في عصبية :-

- (أنا لازم أمشي يا أستاذ " رائف "... أنا ورايا شغل كتير...)

... ولم أُبد أي ردة فعل... ، هناك شيء مريب يحدث هنا.. وبداخلي هاجس... ولا أدري ماذا أفعل؟! ..

ولا طبيعة الخطر الذي يهددني... ولكن حدثي يتنبأ لي أن هناك خطراً من نوع ما...

نهضت... متجهاً للشرفة... لا جديد.. نفس الميدان بنفس التمثال.. والقهوة البائسة قابعة كما هي.. ، اكتظ الميدان بالمارة.. والسيارات والجمال... لا تزال السماء برتقالية تندلع بها ألسنة اللهب.. أذن لأرى كل هذا عن قرب.. لأرتدي ملابسي.. و أهبط إلى الطرقات ..

وبالفعل ارتديت ملابسي... وها أنا أقوم بربط حذائي الرياضي...

لم أقف طبعا عن نقطة ..

كيف عرف (فرج) مقياس ملابسي...

وأحذيتي؟!...

و ألواني المفضلة؟!...

و عطرى المفضل؟!...

دعك من كل هذا... فليس هذا الغموض الوحيد بالأمر... الأمر برمته ضرب من الهذيان... ولكنة أصبح معتادا نوعا ما... من منطقيات أفلام الرعب ذات الخدع والجرافيك الردىء.. فكن قارىء لماح لان غدة الصبر عندى لا تقوم بعملها جيدا...

نظرت للمرآة قائلاً :-

- (" رائف ".. أحب أبلغك أنك داخل على أيام سودة ..)

وابتسمت واضعاً أصبعاً على شفتي متمتماً :-

- (ششش... أوعى تقول لحد..)

وتمعنت النظر في الكدمة بوجهي ماططاً شفتي وأنا أتابع :-

- (جتك خيبة.. كمان مش عارف تنام عِدل؟! ..)

التقطت مفاتيح الغرفة [٧٠٧] مكملاً :-

- (ياله.. أشوفك قريب.. سلام يا صاحبي..)

- (سلام يا معلم..) have fun.

التقطت معطفي ..

مهلاً.. أنا لم أقل العبارة الأخيرة ..

توجهت نحو المرآة مرة أخرى... ناظراً لوجهي المنعكس على المرآة.. وناظراً نظرة متحدية...

صامتاً.. صدري يعلو ويهبط.. جيد بدأ الأمر يلفت النظر ..

مرحباً بك في عالم الجنون يا صديقي.. احضر لى موقفك من التجنيد... وكعب عمل و رقمك التأمينى... وشهادة تخرجك... أستطيع أن أعدك بمرتب مجز ..

وحوافز...

وبدل انتقالات...

وتأمين صحي

كونك مجنوناً مرموقاً ..

* * *

جرع كوب الشاي الأسود قائلاً :-

- (ولا حتفرق.. الصعيدى يعيش فى حنك الأسد).

أخذ يسعل لتتراقص كرات البلي داخل صدره المشعر باصقاً كمية من اللعاب لا بأس بها ونظر لنرجيلته في عدم رضا وصاح:-

- (ولعة يا عفيش)...

وأكمل:-

- (عايش عمري حياتي على كفي.. وجلبي مات من وأنا لسه أخضر ..ولا مية مغلية.. ولا مية نار حتى ..)

فابتسمت عند تلك النقطة عندما تذكرته ونحن في القارب عندما أعد كوباً من الشاي...

أشعلت سيجارة " فاير " أحمر... وأنا أقول:-

- (انت موت أزاى يا "سويلم" ..)

- (صعيدى ... حموت أزاى يا رائف باشا؟ تار طبعا ... كالتها فى نافوخى بالى ٧ طلجات).

صمت قليلاً ثم سألته:-

- (طب أنت عارف أنت هنا فين؟! ..)

ابتسم " سويلم " وهو يقول في صرامة:-

- (ولا عايز أعرف... إللي زينا يا بيه بيعيشوا.. إن شاالله في بلاد الواء الواء...)

وأشار إلى رأسه وهو يتابع:-

- (طالما دى رايحة و البال مرتاح يبجى زين ..).

وأخذ يعبث بأسنانه النخرة.. يا له من فم.. تخيلت أن ثمة صرصوراً أو خنفساء قد تخرج من فمه... ، يا لها من قصة.. غريبة و ..

- (صباح النشاط.. أيوه كده.. ده جيل المستقبل ..)

قطع حبل أفكاري هذا الصوت مع اليد التي تربت على كتفي.. استدرت إنه " ماجد "... ، ابتسمت مصافحاً إياه.. فجلب مقعداً وجلس وهو يقول:-

- (الملل.. صح؟! ..)

ابتسمت وأومأت برأسي أن نعم فصاح:-

- (مهي بتبقى في الأول كده... بتحس بملل غريب... لحد ما بتتعود... والدنيا حتاخدك ..)

استوقف النادل وهو يقول:-

- (بقولك إيه يا " شنواني ".. قهوة مظبوط وغلاوة الحاجة.. بن تقيل مش زي كل مرة.. و واحدة " قص " معاك ..).

-(أأمرني يا بيه ..)

نظر لي ثم ل- " سويلم " مشيراً له وهو يقول:-

- (بس شكلك كونت علاقات.. وبدأت تتمرد على حالة الوحدة ..)

تحسست الكدمة في وجهي فعلق:-

- (من إيه دي يابني؟!.. أنت لحقت ..)

قلت باقتضاب:-

- (لأ.. أخدت راحتي في النوم ..)

بهت لما قلت.. عاقداً حاجبيه في توتر فتابعت متسائلاً:-

- (هو ماله النوم؟! ..)

صاح بعصبية ملوحاً يده:-

- (محدش بينام هنا ..)

نفثت دخان سيجارتي وأنا أقول في عناد:-

- (ليه؟!.. محدش بينام هنا؟! ..)

نظر لي نظرة صارمة قائلاً في تحدٍ:-

- (حرااام ..)

اعتدلت في جلستي وقلت في هدوء:-

- (أستاذ " ماجد "... ممكن أفهم؟! ..)

ابتسم وهو يهتف بسخرية:-

- (دي نسب في البني آدمين... ولا إيه يا بلدينا؟!...)

ونظر " سويلم " في حنق وهو يصيح متبرماً:-

- (قصدك إيه يعني؟!... إحنا مش خلصنا من النكت الماسخة دي...)

ضحك وقال في تهكم مستفز:-

- (لا لسه مخلصناش... مهو لسه موجود إللي بيقولك إن مرة واحد صعيدي فهم مات ..)

قالها ودخل في نوبة ضحك لتدمع عيناه.. وينعقد حاجباي " سويلم " ويخرج قطعة صغيرة من محفظته ويفركها على النرجيلة.. ويشيح بوجهه إلى الناحية الأخرى ..

- (أستاذ " ماجد ".. هو يعني إيه نحو نار أفضل؟! ..)

ابتسم " ماجد " ليضع ساقاً فوق الأخرى ويقول في زهو:-

- (بص يا سيدي... دي حركة.. حركة مش عاوزة إلا مصلحة الناس هنا... أنت لسه جديد هنا... النظام هنا مقلوب... والعيشة بقت صعبة.. وصلت لحد المستحيل.. كله في النازل... لا نظام نافع.. ولا قوانين بتطبق.. الحركة حركة تمرد.. على النظام.. والأحزاب.. و...)

قاطعته في بهوت:-

- (مش غريبة أن الكلام ده كله يبقى هنا؟! ..)

- (غريبة ليه؟!.. أقولك أنا اللي غريب فعلاً يا أستاذ " رائف ".. إحنا هنا كنا بناكل وبنخش الحمامات عادي... وبعد كده نزلت قرارات حرمتنا من

كده... ده مش غريب؟!.. كله كان ببلاش لغاية الحاجة ما ولعت... وبقت بفلوس بفلوس ياما نيت... ده مش غريب؟! ..معدل السرقة والاغتصاب لما يكتر.. والمخدرات لما تتباع عيني عينك... ده مش غريب؟!...).

صمت لكي استوعب كل ما قال.. الموضوع غير قابل للفهم ، ازدردت لعابي قائلاً:-

- (طب ليه مبقناش بناكل.. ولا بنخش حمامات؟!...)

صمت وشرد ناظراً للسماء لتبدل ملامحه.. زافراً زفرة حادة وهو يقول:-

- (العيش... القمح يا " رائف ".. المشكلة كلها في القمح.. بقى غالي.. غالي بشكل مش طبيعي... وبقى نادر.. بتاع ولاد الناس.. والرغيف الواحد بقى بيوصل لأسعار وهمية.. وخناقات.. جربنا نستورد من بره.. بس إللي بره... طبعاً ولأنه عارف إننا محتاجين القمح.. ولأنه مش غبي.. كان عارف أن السعر إللي حيقول عليه.. حتدفعه .. وبدأ الموضوع يتطور.. يبقى مقايضة.. على حاجات مهمة.. خد رغيف.. وهات غموس.. لغاية متوصلوا هنا لفكرة جهنمية.. وغريبة.. مفيش قمح.. يعني مفيش عيش... طيب يا ولاد التيت مفيش أكل أصلاً... وفعلاً من تاني يوم بقى محدش بياكل).

أي جنون هذا؟!.. أعتقد أنها وسعت شوية..

ما كل هذا العبث.. تنهدت في ضيق.. فافتر ثغر " ماجد " عن ابتسامة متحدية وهو يقول:-

- (أكمل ولا كفاية؟! ..)

قلت بصوت مبحوح:-

- (طب والحمام؟! ليه؟! ..)

- (أقولك يا سيدي.. الصرف.. الشبكة هنا من قرون... والعدد بيزيد وأنت عارف النابلم بتاعنا.. للأسف المواسير متستحملش.. فبقت بتسرب

ودخلت على الأنهار... النارية.. وعلى بحور اللهب إللي عندنا.. فبدأت سخونتها تقل.. وتعمل بكتيريا.. وأمراض.. وأوبئة.. وعلاج.. وتوعية وفلوس.. ولأن كان صعب أنه يتعمل شبكات مواسير كاملة من الأول.. طب ليه؟!... من بكرة يا ولاد التيت.. مفيش حمام.. وغرامة و مخالفات.. ومواويل كل ده وإحنا ساكتين.. وحاطين صرمة في بوقنا.. وبنقول ماشي... بس لحد إمتى؟!.. لحد إمتى.. حنسكت ونتفرج... ونضرب كفاً على كف هنا بقى كان ضروري إننا نعمل حركة " نحو نار أفضل ".. عشان نار مثالية على الأقل.. نتعذب فيها بآدمية...)

وصمت ملتقطاً أنفاسه.. لتلين ملامحه وهو يبتسم ممسكاً بقهوته ويقول في مرح مصطنع:-

- (إيه يا عم الكلام خدنا وسخِنا... متستعجلش بكره حتاخد بالك من كل حاجة وحتفهم ربك كبير.. وبكره تتزاح الغمة..)

- (حجر يا ولد..)

صاح بها " سويلم ".. لقد نسيت أنه جالس معنا.. فابتسم " ماجد " ناظراً له " سويلم " في ضيق قائلاً:-

- (أباه !!.. مالك يا عمنا؟! ..)

- (طب أنا حشهدك على حاجة يا أستاذ " رائف "... أربعة صعيدة بيسيقوا.. واحد فيهم مسكت فيه الكهربة... يشدوه مفيش... يبعدوه مفيش.. عملوا معاه المستحيل عشان يبعدوه عن الكهربا.. لغاية يا عيني ما مات الراجل... وخدوه المستشفى...كتب الدكتور في التقرير... سبب الوفاة.. ضرب أدى إلى موت) .

لم أستطع تمالك نفسي فضحكت كما لم أضحك من قبل والضيق يرتسم على ملامح " سويلم " وهو ينظر لي في حنق وعتاب:-

- (حتى أنت يا أستاذ " رائف " .؟)

ربت على كتفه وقد سالت دموعي من فرط الضحك :-

-- (يا عم " سويلم ".. إحنا بنهزر معاك.. ميبقاش خلقك ضيق يا جدع...)

نهض " سويلم " وهو يلوح بيده :-

- (يا عم أنا خالع ..)

قالها وانصرف غير آبه بمنادتنا عليه ..

فقال " ماجد " :-

(سيبه... سيبه.. وبرده رجله حتجيبه تاني لحد هنا..)

ران الصمت علينا لفترة.. وقد شردت فيما قاله " ماجد ".. عاقداً حاجبيّ معبقا بدخان سجائري... تفوح مني رائحة قهوتي السوداء... من يجلس بجانبي ويجرع الحلبه يرتدى حزام ناسف .

نظرلي " ماجد " نظرة طويلة ذات مغزى.. كأنه ينوي قول شيء وينتابه التردد.. حتى قال مقتضباً :-

- (اللي قولته... غيرلك حاجات كتير.. صح؟! ..)

زفرت زفرة حادة وقلت :-

- (لأ مش بالضبط.. خلاني مش فاهم... كله دخل في بعضه... مش عارف أفكر.. الكلام ده مبيحصلش هنا.. بس هو اللى جنبنا لابس حزام ناسف ولا انا متهيئلى؟!).

ابتسم " ماجد " وتمتم :-

- (اه...حزام ناسف.. من ساعة ما جه هنا وهو كده)..

- (وعادى؟! بيشرب حلبة).

ابتسم (ماجد) مستنشقا رائحة السخرية فى تسائلى فاشاح بيده قائلا :

- (هو جة من تحت كده... فجر نفسه وسط ميدان طلع كده.. وكون انة بيشرب حلبة أو زبادى خلاط فعادى لما يبقى طموح واحد انفجر قبل كده انة يقعد يشرب حلبه فا ده ابسط حقوقه فى التعذيب).

نظرت للسماء...

مازالت الألسنة البرتقالية كما هي ..

انتابت جسدي قشعريرة ..

قلقة..

(لا يشرب حلبة.. حقه).

لست مطمئنا... أشعر بقلق مبهم ..

فأنا أميز الخطر... كما يميز بائع البطيخ البطيخة الحمراء من القرعة ..

وهذا ما يخيفني...

تناقضات هذا المكان وربطها بمنطق مفترض

يخيفني حتى الموت...

* * *

خضرة لم أعهدها.. وصفاء جو لم أعهده.. وصوت أنثوي حان يترنم بنغمات ساحرة... ثمة فراشة ملونة تعبث بورود أكثر ألوانا ..

هواء عليل.. أين أنا؟! ما هذا المكان الملائكي؟! ..

أسير وسط تلك الخضرة.. بخطوات هادئة... نهر نقي نقاء الفتاة قبل البلوغ... يصب في بحيرة كبكاء الطفل... وظهرت...

ظهرت وسط الحقول... تلهو مع الفراشات... ظهرت بنور ساطع يخلب الألباب.. ظهرت نضرة... متجددة ..

اقتربت منها.. بتؤدة.. جميلة كما أعهدها... طفلة... عابثة... رقة تسير على قدمين... يتطاير شعرها الأسود.. حول وجهها... اقتربت أكثر.. وهي ترقص في خفة بثوبها الأبيض...

- (" ماجي "...)

نظرت نحوي ليفتر ثغرها عن ابتسامة زادت من بياض وصفاء وجهها...

وتقول بصوت ملائكي تدمنه الأذن:-

- (أنت اتأخرت ليه؟!.. أنا كل ده مستنياك..)

اقتربت أكثر نحوها.. وهي تكمل :

- (أنت وحشتني يا حبيبي.. كل ده تأخير؟!.. أنا قلت أعملك ده عبال متيجي).

وأخرجت.. سلة بها الورود بشتى أنواعها... ورود منيرة.. ولا أدري كيف؟! ..

لكم أوحشتني... اقتربت منها في تشوق متلهف.. و التقطت سلة الورود.. في سعادة

وأنا أقول:-

- (إنتي فين كل ده؟! أنا تعبت من كتر مأنا مستنيكي ..)

ابتسمت وهي تقول بصوت ملائكي:-

- (أنا جنبك... حواليك.. غمض عنيك حتشوفني.. وخليك عارف.. أنت إللي حتلاقيني.. مهما رحت.. وغبت حتلاقيني عشان أنا مستنياك وبحبك بجد ..)

ارتفعت عن الأرض قليلاً وهي تكمل:-

- (أنا جنبك.. وحواليك ..)

واستمرت في الارتفاع عن الأرض رويداً... رويداً ..

أخذت أصيح :-

- (لا.. لا يا حبيبتي... استنى.)

استمرت في الارتفاع ولا تفارق فمها ابتسامتها الحانية ..

انسالت من مقلتي دموع حارة.. ملتاعة وأنا أقول بصوت متهدج :-

- (" ماجي ".. عشان خاطري ..)

- (متتأخرش حستناك ..)

وأضافت وسط ذوبانها بالأفق :-

- (بحبك) ..

لا تذهبي.. أرجوكي ..

عاقت دموعي.. مجال الرؤية ..

- (حرااام...)

سقطت أرضاً وأنا أتلوى من المرارة والحزن ..

أفتقدك يا أميرتي ..

أفتقدك وأتعذب ..

* * *

(٤) موعد في الجنة

مفكرة (٣):

(لماذا عندما انظر إليك فى المرآة بذلك الوجهه المتحلل اشعر انك تريد أن تقول شيئا؟! ..

تصفعنى...تحدثنى عن الفرص الضائعة... والسنوات التى اصبحت تميز أنها تمر بملابس من حولك فى الصيف أو الشتاء...تحتضننى وتبكى؟...

.... تشعل معى لفافة تبغ وتحدثنى عن ما تكرهه وما تحبه بى... تنصحنى بأنقاص بعض الوزن... تنظر إلى يدى باحثا عن تطور فى العلاقات الاجتماعية... انتظرتك كثيرا لتقول ما تريد...

وانت لم تفعل.!).

* * *

- (أستاذ رائف) ..

اصمتي.. أريد النوم ..

- ("رائف " بيه.. القهوة...)

اصمتي يا امرأة..

اذهبي للجحيم ..

- (يا بيه ..)

أنا لست بيه... أنا إنسان ونائم اغربي عن وجهي ..

ثم من صاحبة ذلك الصوت الأنثوي؟! ..

وكيف دخلت غرفتي؟!

فتحت جفني في تهالك وصعوبة.. لتتضح الرؤية تدريجياً...

ابتسامة دبلوماسية.. ترتسم على وجه فتاة تحمل كوباً من القهوة ..

قائلة بنبرة خالية من الانفعالات:-

- (القهوة يا بيه.. أنا " روحية " ..)

التقت لفافة تبغ وأشعلتها قائلاً في اقتضاب:-

- ("فرج " إلليَ بعتك؟! صح ..)

أومأت أن نعم.. فاعتدلت على الفراش.. متمتماً:-

- (طب.. حطي القهوة في أي حتة..)

وبالفعل... اتجهت " روحية " نحو المنضدة.. و تضع القهوة قائلة:-

- (حلو أوى الورد ده يا أستاذ " رائف " ..)

ورد؟! أي ورد.. نظرت حيث تشير... لأتراجع كالمصعوق ..

هل هذا حقيقي؟! .

نهضت من الفراش هارعاً نحو الورود ..

سحقاً إنه حقيقي.. إنها كما رأيت في الحلم ..

- (أنا جنبك وحوليك ..)

.. سقطت أرضاً ..

- (بحبك) ..

اصمتي... جسدي يتصلب ..

- (أنت اتأخرت ..)

قلت اصمتي عليك اللعنة ..

ألماً عاتياً يعصب برأسي ..

- (" رائف " بيه أنت كويس؟! ..)

طبعاً لا أيتها العاهرة ..

ماذا يحدث؟! أنا لم أعد أقوى على هذا ..

إنني أنتفض.. بقوة ..

- (" رائف " حبيبي ..)

اصمتي.. الصوت يأتي من داخلي ..

- (سنة حلوة يا " رائف "... سنة حلوة يا حبيبي ..)

آآآه...

- (ابتسم.. فأنت في النار ..)

آآآه ..

- (شُلت يداي..)

الشدق الأبيض.. يسيل من فمي.. مازلت أنتفض ..

- (" فايز "... لو عايز تطلب البوليس لحد.. يبقى اطلبه ليك.. وقولهم مين إللي قتل روحية ..)

.. روحياااا ..

آه ه ..

كفى.. قلت كفى ..

تشنجات موجعة ..

النجدة الغوث ..

و...

وكفى.. بدأت التشنجات تهدأ

.. لم يحدث لي هذا من قبل.. هل هي نوبة صرع؟! ..

وما علاقتي أنا بالصرع؟!

- (أستاذ " رائف " ..)

فتحت جفناي في صعوبة.. متهالك أحاول النهوض لقد نسيت أنني لست وحيداً ..

لماذا تبكي تلك التعسة؟! ..

تبكي بهستريا.. وهي ترتكن في زاوية الغرفة ..

اعتدلت جالساً في ألم.. قائلاً في صعوبة:-

- (هو إيه إللي حصل؟! ..)

لم احر جواباً بل ظلت تبكي... وتنتحب بحرارة.. الموضوع ليس بسببي إذن ..إنها تبكي بسبب آخر... هذا ما كان ينقصني...

كم أكره بكاء المرأة.. إنه أشبه ببكاء طفل رضيع... لا يكف عن البكاء.. إلا إذا تحقق ما يريد.. أو سئمه ..

اقتربت منها... وأخذت أربت على كتفها وأقول:-

- (" روحية ".. مالك؟!.. أنا بقيت كويس خلاص ..)

نظرت لي نظرة نارية صارمة... فانعقد حاجباي وأنا أتساءل:-

- (في إيه يا بت؟!)

نفس نظرة وبصوت كالفحيح قالت:-

- (إنت تعرف " فايز "؟! ..)

انقلب حاجباي لشكل السبعة.. وأقول:-

- (" فايز " من؟! ..)

احتقن وجهها ثم انفجرت مطلقة طناً من اللعاب والرذاذ صائحة بوحشية:-

- (أنت حتستعبط؟!.. أنت قلت " فايز " ..)

" فايز " من؟! ..

الاسم ليس غريباً.. وكذلك " روحية " ..

أخـذت أعبـث ببـدروم ذاكرتـي.. مـزيلاً بعـضاً مـن العفـرة.. وخيـوط العنكبوت...

ليخرج مرة واحدة.. بعباءته الخيش وصوته المهيب..:-

- (" فايز ".. لو عايز تطلب البوليس لحد.. يبقى أطلبـه ليـك.. وقـولهم مين إللي قتل " روحية "..)

شهقت.. وتـدلى فكـي واتـسعت عينـاي مـن فـرط الـذهول وهـي تـصرخ في ثورة:-

- (تعرف " فايز " منين يا " رائف " بيه؟!.. رد ..)

- (" فايز ".. ده جوزك.. صح؟! ..)

دخلت في وصلة بكاء أخرى.. وأنا أتابع غير مصدق:-

- (أصلع.. ومليان ..)

زاد صوت نحيبها وتعالى وأنا أكمل فاركاً رأسي:-

- (وأنتِ " روحية " مراته..)

وأضافت في حزم:-

- (إللي قتلك ..)

أمسكت بقدح قهوتي وأخذت أجرع منه كأني أريد النـسيان.. و " روحيـة " مازالت متكومة كجوال في ركن الغرفة.. وترتعد في عصبية ونظرت لـي لفـترة حتى قالت:-

- (ممكن سيجارة؟! ..)

ناولتها واحدة.. أمسكت بها في عصبية وتوتر وأشعلتها وهي تغمغم:-

- (أنت عرفت كل ده إزاي؟! ..)

- (لأنه كان معايا يا " روحيـة "... كـان معايـا في القـارب الأسـود إللـي جابنا هنا...)

بهتت لعبارتي الأخيرة.. وأخذت نفساً من لفافتها متمتمة:-

- (يعني هو دلوقتي هنا؟! ..)

أفرز ثغري ابتسامة مشفقة وأنا أرد:-

- (هو كان معايا... وأنا جيت هنا... يبقى هو أكيد هنا... هو قتلك ليه؟! ..)

تحسست صدرها بحركة تلقائية تبدل وجهها لأعتى أمارات الكراهية و المقت قائلة في ازدراء:-

- (عشان راجل.. زي أي راجل عايز يتحكم ويشخط ويكسر.. هرمونات ذكورة.. زيادة.. تقريباً مبيعرفوش يطلعوها غير علينا.. ، شك مقرف.. الواحد منكم يعمل إللي هو عايزه.. يتشاقى.. ويمشي مع دي.. وينام مع دي.. ويوسخ مع دي.. وأما يجي يتجوز... يتجوز شغالة والبت لو ضعفت ولا غلطت غلطة واحدة... قبل ما تعرف جوزها أساساً تبقى كوخَة.. فاتن.. تقف على النواصي.. إذا كان ربنا... ربنا بيسامح عبده مش حيسامح؟!..)

وسالت دمعتان ساخنتان على وجنتيها متابعة فى مرارة:-

- (مراقبة تليفونات.. وشك وقلة أدب.. والراجل من دول يقولك.. أنا متجوزش واحدة مشيت معاها.. لا عاقل.. وبتعرف تفكر.. الصح إنك تتجوز واحدة غيرك مشى معاها..)

وارتسمت على شفتيها ابتسامة مريره ساخرة.. وتابعت بعصبية ..

- (كأننا بهايم.. أنتيكات.. تحف.. معاملة وسخة.. مغامرات نسائية سخنة.. وأنا قاعدة.. بقول يا بت سيبك.. أنتي الأصل.. حيلف و حيرجعلك.. وفى الآخر خدت إيه؟!... رصاصة فى صدري.. ومت زي أي حاجة فى حياتنا ما بتموت...، أنت عارف إيه إللي قاهرني؟! إني بحبه.. وبعشق التراب إللي بيمشي عليه.. عارف إيه إللي قاهرني أكتر؟! إنه بيحبني هو كمان وبيموت فيا..)

وتبدلت نبرة صوتها وهي تستطرد في أسف:-

- (بس... الشك أقوى بمراحل من الحب.. أقوى بكتير.. ، جيت هنا.. وصابرة وراضية... لحد ماجالي.. كنت بدأت أنسى.. وأديه جه.. عشان يفكرني.. ويرجع عذابي ووجع قلبي...)

ودخلت في وصلة أخرى من البكاء.. يبدو أنها تفضل تطهير عينها من وقت لآخر.. أحاول ربط الأحداث ببعضها.. ناظراً لها..

أصعب انتقام... انتقام امرآة غاضبة.. ناهيك أنها مقتولة أصلاً...

احتضنتها.. محاولاً التخفيف عنها... وكأنها كانت بحاجة إلى صدر ترتمي به... فزاد بكاءها ..

الحقيقة تتضح تدريجياً...

لا أنكر أنها فكرة مجنونة...ولكنها ليست بجنون ما أنا به ..

فكرة جهنمية.. مخيفة ..

ارتسمت ابتسامة شيطانية على ركن فمي ..

معتصراً " روحية " أكثر ..

ليس لدي ما أخسره ..

فما المشكلة من المحاولة؟! ..

.. أتسعت عيناي ولمعت ببريق...

كاد ينير الغرفة ..

بريق لم أعهده منذ جئت هنا ..

* * *

((ياله ملهبة.. ملهبة ..

ملهبة يا بيه؟!.. ملهبة يا أبلة؟! ..

فاضل نفر..)) .

* * *

- (أنت مجنون.. والله مجنون ..)

صاح بها " ماجد " في استنكار.. وغضب.. وسعل مرتين أو أكثر.. ليخلع عويناته ويلقيها على الطاولة عابثاً بعينيه.. لم أفهم... أنا لم أسبه بالأم.. أو بصقت بوجهه ..

نظر لي في أسى وهو يقول متأثراً:-

- (يا بني... صعب إللي أنت بتقوله ..)

قاطعته في سرعة:-

- (مستحيل؟! ..)

صمت في عصبية.. فتابعت:-

- (يبقى مش مستحيل... أنا معاك.. هو صعب بس مش مستحيل..)

أشعل لفافة تبغ في هدوء عجيب:-

- (أنا حساعدك..)

وأشار إليّ قائلاً:-

- (عشان روح الشباب وحماسهم إللي جواك.. و..)

صمت لحظة وهو يقول بمرارة ساخرة:-

- (وكنت أهبل زيك.. وقلبي دق ..)

ابتسمت ليخرج قلماً وورقة قائلاً:-

- (بياناتك يا معلم..)

ابتسمت أكثر وأنا أقول متذكراً مع القليل من خفقان القلب:-

- (" ماجي أنور عبد المحسن ")

مهلاً صمت متردداً وتابعت:-

- (لا.. لا يا أستاذ " ماجد "... " ماجي عازرا " ..)

فقطاعني " ماجد " متسائلاً فتراجعت للخلف.. وأنا أقول متوتراً:-

- (لا يا أستاذ " ماجد " أنا آسف.. اسمها " ماجي كرنكليتوف " ..)

بهت " ماجد " وثبت لحظات يحدق بي في تعجب...

كيف؟! ..

كيف أحبها.. وأعشقها ولا أتذكر اسمها.. لقد تذكرت " ماجي فرانسوا ".. لا... لا " ماجي أندرو "...

لا " ماجي أبو يوسف " ..

كفى اصمت.. ما كل تلك الأسماء؟! ..

ما الذي أجهله؟!...

ماذا نسيت؟! ..

- (يا بني... أنت عايزني أدور على بذرة في شادر بطيخ.. أنت عارف كام واحدة هنا اسمها " ماجي "؟! سواء هنا أو في البر التاني..)

اصطدمت عبارته بتفكيري.. كلامه صحيح.. ولكن ما هو البر التاني.. فأسرعت أتساءل:-

- (وإيه هو البر التاني ده؟! ..)

ابتسم في إشفاق قائلاً:-

- (الجنة.. يا " رائف ".. البر التاني ..)

انتابتني قشعريرة باردة.. سريعة في جسدي و " ماجد " يتابع بنبرة رحيمة:-

- (يا " رائف " يابني.. ربنا عرفوه بالعقل... أنت كل إللي فاكره أنها اتقتلت.. ومعنى كده.. أنها يا هنا يا هناك.. ومش فاكر حاجة إلا اسمها... طيب.. أنا لا بسحر ولا بشعوذ... سيبك من أن ده هبل إللي أنت بتطلبه.. ده حتى الاسم كامل.. مش عارف تفتكره .)

- (أستاذ " ماجد ".. أرجوك.. أنا مش عارف أعيش هنا.. والعيشة هنا أصلا مش لزماني فكل إللي عايزه أشوفها.. أطمن عليها بس.. بس والله.. وأنا مليش هنا غيرك.. أنت سندي هنا.. أنا مش طالب منك أنك تحاول.. بالاسم الأولاني.. وأنا ونصيبي وحكون تحت أمرك..)

أخذ " ماجد " يعبث بشاربه.. ينظر لي نظرة ثابتة مقلباً الأمر برأسه ثم نهض حاملاً سترته وهو يقول:-

- (إللي حقدر أعمله حعمله.. يا " رائف ".. وخلي بالك.. أنا حيبقى ليا خدمة عندك..)

فابتسمت بدوري.. وأنا أومئ أن نعم ..

فابتسم ابتسامة لم تريحني... وهو يتابع دون أن ينظر لي:-

- (أتفقنا يا " رائف ").

وهم بالأنصراف ..

ليترك المكان صامتاً ..

بارداً ..

معبقاً بسحب تبغي المحترق

ونسمات حيرتي ..

... مع قليل من الأمل ..

وكثير من القلق...

* * *

شفرة حلاقة... مع شرود ذهن.. تعني حوادث كثيرة.. ودم أكثر ..

أمسكت بشفرة الحلاقة ثم المعجون ....

ملامحي أصبحت أكثر كآبة.. وارتسم بعض اللون الأبيض في جوانب شعري.. وبتلك الإضاءة البائسة كأني قاتل متسلسل.. أيتها المرآة الحمقاء... تعطي ما أمامك بلا رتوش .

ابتسمت موزعاً المعجون على وجهي.. ناظراً إلى عيني في المرآة... يجب أن تجدها.. يجب.. لأنك ببساطة لا تعرف معنى العيش بدونها.. يالفرحتي.. سوف...

آآآه...

وكأن هذا ما ينقصني ..

طالعت الجرح بالمرآة.. والدم يتدفق من وجهي...

لقد تحققت المعادلة ..

شفرة حلاقة + شرود ذهن = حوادث كثيرة

ودم أكثر

مع استخدام عوامل مساعدة [ماء + منشفة]...

يخرج الناتج ويؤخذ منه الجذر التربيعي لعدد أرطال الجسم في نسبة الدم...

ومع نهاية الفصل الأول نتمنى لطلبة الشهادة الإعدادية الجهنمية التوفيق والنجاح.. كان معكم مدرس أول حلاقه منزلية / " رائف أبو المجد "

أخذت أضحك... أضحك.. بصوت عال ..

أعلم أنني مجنون... لا جديد...

الجديد هنا... أنني لم أكن أعلم أنني قد وصلت إلى هذا الحد من الجنون... يبدو أنها نوبة ضحك...

أو إعلان معجون حلاقة ومعجون أسنان في نفس الوقت... فأسناني كلها ظاهرة في المرآة من فرط الضحك الهستيري...

- (صباح الفل يا برنس ..)

-(صباح العسل ...)

رددت بتلقائية.. مكملاً حلاقة ذقني...

كل ما أريده للفهم لحظات...

لأسأل أسئلة منطقية.. ، أنا أضحك... إذن أنا أضحك...

هذه رسالة مسجلة داخل عقلي... عُلم وجاري التنفيذ...

وتبدأ النبضات والإشارات الكهربية التوجه إلى الفم ليضحك... وتم بحمد الله .

وهناك نظرية أخرى... المرآة سطح عاكس.. يعكس ما أمامه.. إذن... لماذا أنا أضحك... وتلك المرآة اللعينة...لا تعكس أي ضحكات؟!

فقط وجهي بمعجون الحلاقة والجرح به وابتسامة متحدية ..

وكل هذا... بغض النظر عن العبارة التي سمعتها ورددت عليها...

- (أنت مستغربك ليه؟! ..)

إنه أنا.. ولكن في المرآة فقط ! !

ابتسمت في المرآة وأنا أقول – وركز – في المرآة:-

- (أنت مستغربك ليه؟! أيوه.. إللي أنت شايفه صح ..)

لم أرد.. فتابع:-

- (أعرفك بنفسي... " رائف أبو المجد " الانعكاس) .

صحت بلا إرادة:-

- (انعكاس؟!) ..

ابتسم أنا مرة أخرى وهو يقول:-

- (أيوة يا عم... هي المرايا دي مش بتعكس؟!.. أهو أنا بقى انعكاسك..)

قلت متلعثماً :-

- (زي.. زي المرايا إللي في سنو وايت؟! ..)

بدا الاشمئزاز على وجهي في المرآة ويقول في سخط:-

- (قدييييم.. أنت قديم ديناصورات.. أنت مش مكمل تعليمك ولا إيه؟!.. فين النينجا... والمازينجر.. والبوكيمون؟!.. وابطال الديجيتال... وسابق ولاحق ؟، المهم أنا انعكاسك أنت.. وسنك تقريباً.. وبنكبر مع بعض..)

أخذت أستوعب ما يقول.. بلا فائدة.. ، قلت متأثراً بنوبة الذهول العظمى :-

- (طب.. طب اشمعنى دلوقتي؟!)

- (أقولك يا سيدي.. عمرك مكنت فاضي... وعمرك مركزت قدامي.. ولا أتعورت هنا.. في المكان ده.. ده غير أصلاً أنك عايز تشوفني.. ومحتاجني جنبك..)

قلت في تردد :-

- (طب وأنت عايز إيه؟! ..)

ضحك – أنا–ضحكة ساخرة مجلجلة ثم هتف :-

- (غريب أنت أوي.. هو أنا حعوز منك إيه؟! أنا بمسي بس.. أما أنت راجل ناقص صحيح) .

- (متغلطش..)

فاحت رائحة التحدي من نبرته مصاحبها نظرة شيطانية :-

- (حتعمل إيه يعني؟! حتكسر المرايا؟!... يا معلمي أنا معاك في أي مرايا... وفي أي حتة وطول عمرك... فياريت تكلمني عدل..)

ابتعدت عن المرآة.. خرجت من الحمام كالمجنون... وعلى وجهي معجون الحلاقة.. أبحث عن السجائر ..

قل شيئاً...

قل شيئاً غير هذا.. هل أنا فعلاً كنت سأتشاجر مع انعكاسي بالمرآة؟!

لا.. قل إنني كنت أهذي.. سأجن .

نهضت من مقعدي متجهاً لمرآة الملابس... منفثاً دخان سجائري.. ولك أن تتخيل... أنني سعلت—في المرآة فقط— وشحت بوجهي قائلاً لي:-

- (يا عم ارحمنا... متغير السجاير دي... تقيلة فحت..)

إذن هذا واقع... وأنا أعيشه... وأنا فعلاً أتحدث مع انعكاسي .

ابتسم انعكاسي وهو يقول:-

- (طبعاً أنت حتجن ..)

واقترب أكثر قائلاً بصرامة:-

- (أنت عارف أنت وأنا عاملين زي إيه؟!.. عارف أما تمشي أنت والحتة.. وتكونوا متأنجين... ومقطعين بعض حب؟!.. وتعدي من جنب سور نادي بتاع ناس هاي.. تلاقيهم بيبصولك باستحقار.. ده لو خدوا بالهم منك أصلاً.. أصل الفيديو بتاع " بيكي " الشبر ونص بتاع الساحل مع صاحبها وهما الاتنين بيرجعوا.. وهي بالمايوه التركواز الفتلة.. لسة نازل طازة جوه النادي.. مش فاضيلك.. وعايشين حياتهم.. مع أن شوف يا أخي أنت وهما والحتة.. والموبايل إللي عليه الفيديو بتاع " بيكي " الشبر ونص بتاع الساحل وهي بترجع بالمايوه التركواز الفتلة.. ماشيين على نفس الأرض... إللي فارق بينكم سور عرضه.. مش حيعدي النص متر... تخيل بقى.. لما يبقى سور هو إللي عامل فيك كده وفيهم كده ..إحنا بقى عاملين كده.. أنت عايش حياتك.. برة وأنا أخري سطح مرايا وأنا ونصيبي.. يا مرايا حمام.. يا مرايا عربية.. عايش تحت أمرك... عمرك مفكرت فيّ... يا راجل ده أنت عمرك مبوست... ولا زنقت نتاية توحد ربنا قدام المرايا.. عشان تظبط صاحبك بدل ما هو عفن من الركنة.. فالح

بس تعبق الحمام... يا تحلق دقنك.. يا تغسل سنانك.. أأأيه يعني؟!.. مفيش دم؟! ريدبول بس؟! .. قلشت دي صح؟!...)

عن ماذا يحاسبني هذا المعتوه؟! ..

- (عارف... عارف أنا بتكلم كتير.. بس أنا طول عمرك ساكت.. مستحمل.. مصدقت أننا قاعدين القاعدة دي..)

امتقع وجهي وأنا أهمهم:-

- (طب عايز إيه دلوقتي؟! ..)

صاح في غرور غاضب:-

- (عايز أقولك صباح الفل... خلي بالك.. في انعكاس ليك على المرايا.. عايز يدلع.. يا أما حيضرب عن الظهور... ومن هنا ورايح فى تطورات انا ممكن اعملها...)

وأكمل:-

- (أنا حخلع... وأبقى أكلمك تاني.. ، ووحياة والدك أبقى أقفل شباك البلكونة عشان عمال أبربر لما مناخيري باشت.. سلام يا نجم)

ران الصمت ..

صمت مهيب.. لم أجرؤ على إنهائه ..

ابتسمت.. فابتسم الانعكاس بدوره.. أشرت بعلامة النصر ..

فأشار الانعكاس ..

.. أنا كنت أتحدث مع انعكاسي ..

لا أنا مشتت.. ومرهق الذهن ..

لنتفق اتفاقاً.. لا حلاقة ذقن من اليوم ..

أصبح الوضع خطير ..

إما ما يحدث حقيقياً...

أو أنني أصبحت مخبولاً ..
وأعاني.. من أعتى أمارات الخبال ..

* * *

الباب يدق... نهضت من الفراش مسرعاً لباب الغرفة.. ليطالعني وجه الأستاذ " ماجد ".. فابتسمت.. وابتسم بدوره.. قائلاً:-

- (شكلك قايم من النوم طازة ..)

ابتسمت داعياً إياه للدخول.. فدلف للحجرة ليجلس على المقعد الوثير بجانب الشرفة.. مخرجاً علبة سجائره مشعلاً واحدة بقداحته الذهبية قائلاً:-

- (أنت عامل إيه يا " أبو رائف "؟!)

- (تمام الحمد لله.. عملتلي إيه في الموضوع يا أستاذ " ماجد "؟!)

ابتسم " ماجد " ليدس يده بجيبه صائحاً:-

- (على طول مستعجل ..)

وتخرج من جيبه صورتان ليضعهما على المنضدة الفاصلة بيننا ونظرة التساؤل تتساقط من عيني.. ليقول في هدوء:-

- (بص يا عم " رائف " ده إللي قدرت أوصله... اتنين اسمهم " ماجي أنور عبد المحسن)

وأمسك بالصورة الأولى.. ليناولني إياها مكملاً حديثه:-

- (الأولانية.. " ٣٨ سنة... شغالة في استعلامات توعية المواطن هنا... ساكنة في شارع " هُبل " عمارة ٦ الدور الرابع...)

نظرت للصورة بتوتر واضح.. لا ليست هي.. فأومأت برأسي أن لا.. بخيبة أمل.. ، فالتقط الأخرى وناولني إياها وهو يقول:-

- (دي التانية ٣٢ سنة.. بس دي في البر الثاني و..)

يا إلهي.. إنها هي.. جحظت عيني وارتعشت يدي... فبتر عبارته عندما فهم أنها هي.. من انفعلاتي.. إنها هي.. مازالت جميلة نضرة تطل من عينيها نظرة حزينة، لم أبال بانعقاد حاجبيّ " ماجد ".. الذي أخذ نفساً عميقا من لفافته وهو يغمغم:-

- (ده بقى... بالظبط إللي كنت خايف منه ..)

نظرت له في تساؤل.. وأنا أقول دون تفكير معاوداً السباحة داخل الصورة بعيني:-

- (عايز أشوفها ..)

احتقن وجه " ماجد " ليصمت للحظات ثم يقول في حدة:-

- (صعب... صعب يا " رائف ".. ده البر التاني يعني مش هزار..)

قاطعته هاتفاً:-

- (عايز أشوفها...)

بهت لعبارتي ليتنهد بحرارة ملوحاً بيده:-

- (يابني أنت.. دي واحدة ربنا كرمها و دخلت البر التاني.. وأنت جيت هنا... عايز منها إيه؟! ما أديك أطمنت عليها... وخلاص.. سيبك بقى من الصعبنيات والرومانسية الزيادة دي..)

وتابع في حنق:-

- (يابني فوق... فوق من الأوهام دي.. حتستفيد إيه لما تشوفها؟! غير أنك حتكدر في نفسك.. وتقلب في مواجع أنت في غنى عنها..)

سالت دمعة من مقلتي رغماً عني وأنا أنظر إليه في مرارة وألم.. فنهض متجهاً صوبي ليربت على كتفي مكملاً:-

- (يا " رائف " أنت حد جميل قوي... وإنسان بجد... ولو عندي ابن زيك كنت أشكر إللي خلقني طول عمري.. متعملش في نفسك كدة)

ابتسمت في يأس.. وأنا أقول بصوت متهدج:-

- (عارف.. لما صنف الحريم ده كله بيتمثل عندك في بنت واحدة؟!

تفرح لما تفرح... وتزعل لما تشوفها زعلانة... تبقى نفسك تجيبلها النجوم في السما وتبنلها قصر فوق قوس قزح.. والفرصة بتيجي مرة.. كان في أسطورة قديمة بتقول إن الراجل والست كانوا جسم واحد.. عايشين في حب.. وخير.. ورضا.. لحد ما الآلهة " هيرا " رمت صواعقها وقسمتهم اتنين... ورمت الراجل في حتة.. والأنثى في حتة تانية.. وبقى كل نص بيدور على نصه التاني.. إللي مخلوق عشانه... وأنا لقيته.. لقيت نصي التاني... ورضيت أنه يتاخد مني تحت.. لكن دلوقتي أنا مش طالب غير إني أشوفه... أتكلم معاه..).

ولم أستطع أن أكمل.. مع جفاف حلقي.. وانقباض صدري ..

يالها من نظرة إشفاق شملني بها " ماجد " وهو يقول:-

- (أنا مقدرش أخليك تتكلم معاها.. مش من سلطتي.. متقطعش قلبي يابني.. أنا إللي أقدر أعملهولك إني أجيبلك تصريح.. إنك تشوفها.. ومش أكتر من عشر دقائق... و وديني يا " رائف "... أنت ما مستوعب أنا ممكن أجيب التصريح ده إزاي.. وحأعمل إيه عشان أجيبه.. يابني..)

- (وأنا تحت أمرك)

قلتها بلا تردد.. قاطعاً عبارته.. لينهض بغتة قائلاً:-

- (يبقى النهارده بالليل... تستناني على القهوة... وأنا حاجي أخدك..)

تهللت أساريري ورقص قلبي فرحاً أشار إليّ " ماجد " متوعداً قائلاً في تهديد:-

- (بس خلي بالك.. أنا براهن.. وبخاطر بمركزي.. وسلطتي عشان خاطرك.. والموضوع مش سهل خالص.. زي ما أنت فاكر... لا مش سهل أصلاً..)

- (مستحيل؟! .)

ابتسم " ماجد " وهو يضرب كفاً على كف هاتفاً :-

- (صحيح.. صحاب العقول في راحة.. حعدي عليك بالليل...)

قالها واتجه نحو باب الغرفة.. ليستدير بدوره ناظراً للغرفة باشمئزاز مصطنع :-

- (أبقى هوي القبر إللي أنت عايش فيه ده ..)

وأدار وجهه هاماً بالانصراف فصحت قائلاً :-

- (أستاذ " ماجد " ..)

توقف لأكمل عبارتي ممتناً :-

- (شكراً..)

فابتسم " ماجد " وانصرف ..

سأراها ..

أخيراً.. سأراها ..

لا أصدق ..

لا يهمني ما سيحدث... أو عواقب الموقف

مهما كانت... كل ما يهمني أنني سأراها ..

سأرى حبيبتي الوحيدة ..

" ماجي "...

" ماجي أنور عبد المحسن "

* * *

ملابس ثقيلة.. ورياح باردة.. ودخان لفافة تبغ تعبث به رياح الحاضر المبهم...، حظك اليوم.. أخبار سارة في الطريق إليك... أو أموال في الطريق... فأحسن إنفاقها مارس الرياضة.... نجاحات على صعيد العمل...

تتعرض لعمليات تسويف...

هراء...

وهراء... ثم هراء ..

أنماط وأنواع من الهراء تحت بنود متفرعة من كتاب فن الهراء .

نيران تلتهم السماء...

حزناً يلتهم القلب... وشرود يعبث بخلايا المخ .

لماذا تأخر؟!.. ، قهوتي باردة.. كعالمي ..

بلا وجـه... كأيـامي... أعقـاب سجائري.. تنـاثرت تحـتي كـأنني أقطـن بمطفأة... ، أعشق التخصص.. مطفأة السجائر.. ما استعمالها تحديداً؟! ..

أعلم أنه سؤال مبتذل..

لطفي السجائر.. إذن إذا وجدت بها منديلاً؟! ..

وهممت بطفي لفافتك.. فاحترق المنديل؟! ..

ألم أقل لك ليس هنا سوى الهراء ..

- (معلش أتاخرت عليك يا " أبو الروافي)...

كبصقة دم على جدار تم طلاؤه للتو... اخترقـت العبـارة أذنـي.. جلـس.. مخرجاً منديلاً ليمسح به عويناته.. فتساءلت:-

- (أتاخرت ليه؟! أنا بقيت كنكة من كتر القهوة ..)

ارتسمت ابتسامة على ركن فمه واضعاً العوينات على عينه مختـبراً إياهـا وهو يصيح:-

- (عقبال ما جهزت كل حاجة...)

أشعلت لفافة تبغ بتوتر قائلاً بعصبية:-

- (إحنا حنتحرك إمتى؟! ..)

نهض بغتة وهو يقول:-

- (حالاً... و أى تأخير.. حيبوظ الموضوع كله ..)

و صمت يتفرس ملامحى مشيراً إلىّ بإصبعه وهو يقول بنبرة صارمة محذرة:-

- (" رائف ".. اسمع بقى الكلمتين دول منى... قبل ما نتحرك أو نروح فى أى حتة لحد هنا.. و اللى جاى مش هزار.. و أى حركة تهور.. مش حتروح فيها لوحدك.. لاء دانا قبلك... فياريت.. تسيبك من أى حركة.. كده ولا كده.. و متعمليش فيها السقا وحياة والدك ..)

وتابع وهو ينظر لعينى نظرة مباشرة:-

- (اتفقنا؟! ..)

أخذت نفساً عميقاً و أنا أقول فى حزم وثقة:-

- (اتفقنا ..)

- (جميل... ياله بينا يا بطل ..)

صدرى يعلو و يهبط.. قلبى يخفق كما لم يخفق من قبل... أحمل قدمى بصعوبة...، سأراها.. أعلم أننى متهور.. و أعلم أننى لن يريحنى رؤيتها.. بل سيزيد من شقائى... ولكنى لن أستطيع منع نفسى من تلك الفرصة .

ملامح جامدة على " ماجد " تنم عن تفكير ملحمى عاتٍ...

لماذا يساعدنى هذا الرجل؟!... و يقف بجانبى هكذا؟!

ليس ملاكاً على ما أعتقد.. فلا توجد ملائكة هنا فى هذا المكان البرتقالى...

سرنا بخطوات واسعة صامتة.. حتى ظهرت أمامنا سيارة سوداء.. اتجه إليها و هو يقول لى دون أن يدير رأسه:-

- (اركب يا " رائف " ..)

دلفت للسيارة بالمقعد الخلفى.. نظر لى السائق.. كأنه يعرفنى منذ دهر وهو يبتسم قائلاً:-

- ("رائف " باشا... مساء الجمال ..)

انعقد حاجباى لوهلة إنه " فرج "... كيف؟! ..

كيف يقوم قزم بقيادة سيارة كتلك؟! ..

لا ضغائن للإخوة الأقزام.. ولكن كيف؟!

- (مساء الفل يا " فرج " ..)

قلتها محاولاً إكساء وجهى وداً غير موجود ..

- (اطلع يا " فرج ".. إنتوا حتتعرفوا على بعض هنا.. إخلص ..)

ابتسم " فرج " على عبارة " ماجد " الأخيرة وقال فى مرح:-

- (أوامر السيادة ..)

و انطلقت السيارة.. شعور غريب يجتاح كيانى.. ها هو الإسكندر يعدو بعجلته متجهاً لمقهى " آخر ساعة "... شاب يستقل دراجة نارية.. بنهايتها صندوق كتب عليه " تعذيب لتوصيل الطرود "...

سأراها.. لكم أريد هذا... أريد هذا أكثر مما أريد أن.. أن ماذا؟!...

أنا لا أريد شيئاً سوى رؤيتها.. رؤيتها و كفى...

لاح من بعيد شيء كا بحر.. ولكنه ليس ..

أو نهراً.. ولكنه ليس ..

بدأ "فرج " يهدئ سرعة السيارة.. تدريجياً.. ليقول " ماجد " فى اقتضاب:-

- (إحنا وصلنا.. و زى ما قولتك.. اظبط ..)

اقتربت السيارة من المرسى و توقفت...

خيّم الصمت علينا لفترة.. مختلطاً بدخان السجائر.. و..

لمع شيء من بعيد... ثم لمع مرة أخرى.. و مرة أخيرة ..

هنا ترجل " ماجد " من السيارة متمتماً:-

- (ياله يا " رائف " ..)

فتحت باب السيارة فى توتر و ترجلت بدورى.. إذن هذه الإشارة المتفق عليها ..، أتابع خطوات " ماجد " فى قلق.. مياه حولنا.. ممر صغير قديم زجاجى.. نسير فوقه.. إنه قارب يلوح فى نهاية الممر.. و هو صاحب الإشارات الثلاث.. أمواج متلاطمة ثائرة.. و سحب عاتية تخرج منها... قارب متهالك.. به رجل قديم ..

أكثريته كرش مكتنز مبعثر الشعر أبيض الفودين ما أن رآنا حتى صاح متهلل الأسارير:-

- (عمى وعم العيال الصغيرين.. " ماجد " باشا ..)

ترجل " ماجد " إلى القارب مستنداً إلى يدى قائلاً فى أسف:-

- (قصر يا " جلبانى " عمرك محتتغير ..)

نظر لى صاحب الكرش أو الجلبانى متسائلاً:-

- (" رائف " بيه صح؟! ..)

هززت رأسى بالإيجاب.. فتهللت أساريره أكثر وهو يصيح فى زهو ليس هذا مكانه أو وقته:-

- (أعرفك بنفسى.. " أحمد الجلبانى ".. دكتوراه فى البحر.. و قبطان من الدرجة الأولى.. حافظ البحر.. زى ما حافظ الطرقة فى بيتنا ده غير ..)

خلع " ماجد " عويناته فى تهالك رامقاً " الجلبانى " نظرة نارية حتى اشتعل متبرماً:

- (لا ده وقته.. ولا حد سألك.. أنت فاكر إنك بتقدم فى شركة ملاحة ولا حد طلب سى فيهك.. ياله يا " جلبانى " إنجز(...) أبونا...)

بهت " أحمد الجلبانى " لعبارة " ماجد " المتبرمة العنيفة فاكتسى وجهه بالجدية قائلاً فى خنوع:-

- (أوامر " ماجد " بيه ..)

غريب هذا.. ما كنه " ماجد " ؟

.. لماذا تلك السطوة.. و هذا النفوذ ؟ أنه أمامى ليس سوى أصلع صاحب عوينات... يناهز من العمر ما يقرب من السبعة عقود.. متهالك... مستهلك جيد لدخان التبغ المحترق ..فلماذا كل تلك الوقاحة.. و الغطرسة؟! ..

لا أعتقد أن هذا يعنينى... فحتى لو فعل قرداً... ما فعله معى " ماجد " لكنت كننت له نفس الاحترام و التقدير .

بدأنا فى التحرك.. بهدوء.. داخل تلك المياه التى ليست بمياه.. لونها عجيب... بقع خضراء تتناثر حولنا بعشوائية.. راسماً اللون البرتقالى عليها نوعاً من الرهبة.. و لا أدرى كيف ..

- (" رائف " ..)

شفرة حادة قطعت حبل أفكارى المهترئ، فنظرت لصاحب الشفرة "ماجد" بدا غير طبيعي.. مُضطرب نوعاً ما.. و هو يتابع حديثه بعدما تأكد من اقتناعه انتباهى.. :

- (ده بحر اللهب إللى كلمتك عنه.. و الحاجات الخضرا دي هى بكتيريا.. البحر ده إتلغى.. إتشال من الاستعلامات.. حنمشى فيه لغاية منوصل لحدود البحر الميت و كده نبقى دخلنا فى حدود البر التانى ..)

و أكمل محذراً :-

-" و مش عايز أى تهور.. أنا بعملك زى ابنى.. فياريت متحسسنيش إنى كنت حمار كبير.. و إن نظرتى فى البنى آدمين مش صح.. يا ريت متصغرنيش..

رددت عليه محاولاً بث الطمأنينة داخل قلبه العجوز :-

- (متخفش يا " ماجد " أنا مقدر إللى إنت عملته و بتعمله عشانى ..)

طالع " ماجد " السماء البرتقالى لترتسم على وجهه ابتسامة لم أستطع تصنيفها و غمغم:-

- (جميل ..)

وهام على وجهه شارداً فى شيء ما... صامتاً كالموت ..

القارب يمخر عباب بحر اللهب المبكتر الملغى من الاستعلامات التى لا أدرى أصلاً ما هى.. و القبطان " جلبانى " يصفر بلحن ما.. كأنه فى رحلة صيد أسماك البطاطا.. و " عبير " تنتظره بعدة الشواء ليقوما بوليمه بحرية.. بعدها ينعما بليلة هادئه يغلب عليها الطابع الفسفورى.. المفعم بالمشاعر والاهتزازات..

فنظر لى كأنه يقرأ أفكارى... فابتسم فى ود غريب و أدار وجهه متابعاً طريقه.. و هنا بدأت تنحصر البقع الخضراء تدريجياً.. و تهدأ الأمواج... رويداً رويداً

ليبدو كصفحة.. أو مغطس.. إذن فهذا هو البحر الميت لقد بدأنا فى الأهم...

و الأخطر ..

و لكننى... ثابت... صامت لا يهمنى شيء...

فماذا يهمنى؟!

موعدى أهم من كل هذه الترهات ..

و محدد لى قبل أن أولد ..

انه موعد فى الجنة ..

* * *

(٥) الملهبة ..

* مفكرة [٤]:- * السؤال الأول [إجبارى]

[١] أكمل المعادلة التالية:-

* شفرة حلاقة + ... = ...

دم أكتر

و مع استخدام عوامل مساعده [ماء + ...] = ...

* * *

- (البر التاني على مرمى البصر) .

صاح بها " الجلبانى " و هو يعبث بسالفيه..الكثان..

خفق قلبى مرة... و انقبض مرة... رحلة كهذه لا يصر على القيام بهـا إلا مجنون.. سأعرفكم بنفسى...

مرحباً... أنـا هـذا المجنـون مـن يريـد التقـاط صـور مـع المجنـون يلـزم اليمين... و من يريد أن يحصل على توقيعى يلزم اليسار...

- (" رائف ")

اصمت أيها القـرد... فهمـت.. لا حركـات صـبيانية.. لا تهـور.. فهمـت أقسم بقبر أمى _ إذا كان لها قبر _ إننى لـن أقـوم بـشيء.. فـلا تـشعرنى أنـك الراعى الرسمى للعقلانية.. و الموزع الرئيسى للتصرف الصائب و الحكمة ..

- (" رائف " ..)

نظرت لـ " ماجد " أو الراعى الرسمى للعقلانية... قل...

قل ما تريد أيها القرد.. قال:-

- (مش عاوز تهور...)

و ضحك على لا شيء و هو يضيف فى تهكم:-

- (و اسمع كلام القرد عشان تخرج من هنا ..)

بهت لما قال و اتسعت عيناى فى تساؤل معبق بالذهول ليتابع فى زهو شيطانى:-

- (أنت لسه قدامك كتير... عشان تقدر إللى قدامك... و دى أكتر حاجة بكرها فى الشباب.... إنه فاكر نفسه بيفهم... ودايما شايف العجوز انه كفايه عليه كده وانه خد اكتر من وقته وانه لو فى مكانه حيعمل وحيسوى).

و نهض قائلاً:-

- (صحصح معايا بقى... عشان نعدى الموضوع ده على خير...).

لم أرد.. و القارب يهدئ من سرعته ليظهر وسط السحب البيضاء المتناثرة حصن من حصون العصورالوسطى، ودرج متهالك.. حصن ليس له آخر سواء ارتفاع أو عرض...

ترجلنا من القارب فى هدوء صاعدين الدرج أنا و " ماجد " الذى استدار قائلاً ل- " جلبانى " فى خفوت:-

- (خلى المركب دايرة...)

و تابعنا صعود الدرج المتهالك... حتى وقفنا أمام باب خشبي عتيق دق عليه " ماجد " ثلاثة دقات متتالية.. لينفتح الباب بغته دون أن يصدر صوت و " ماجد " يتمتم بما لا أفهمه.. و يمسك يدى بقوة ..دالفان للداخل.. قلبى يخفق فى قوة محاولاً رسم آلاف الصور و التخيلات لما قد يكون بالداخل و ..

لا شيء... لا شيء بمعنى لا شيء...

صفحة بيضاء.. أنا و " ماجد " فقط و بياض.. لا معالم.. لا ارتفاع.. لا منظور... لا أبعاد ..

لا شيء.. نظرت لـ" ماجد " الذى ظل صامتاً محافظاً على رباطة جأشه لم أجرؤ على قول شيء...

صمت قاتل ثقيل.. مهيب هاهنا وسط اللاشيء...

أعتى أنواع الرعب ..

هو الرعب من اللاشيء... الفراغ....

الرعب من القادم ..

بياض ساطع.. هادئ مستفز ..

قال " ماجد " فى خفوت:-

- (ياله بينا ..)

تساءلت فى غباء:-

- (ياله بينا فين؟! مش باين أى حاجة.. أو أى اتجاهات ..)

- (تعالى بس ورايا ..)

وسار بتؤدة... و هدوء كأنه متجه إلى دورة مياه منزله باحثاً عن فراشاة أسنانه الخضراء... حتى توقف ليظهر مربع أسود اللون.. ظهر من العدم ..

أسفل قدمانا.. هم " ماجد " بالوقوف عليه.. ناظراً لى بأن أقف بجانبه داخل المربع الأسود.. وكان له ما أراد.. تمتم " ماجد " دون أن ينظر إلىّ:-

- (حضر نفسك.. أياً كان اللى حتشوفه.. خليك ثابت...)

أتم عبارته وأشار بيده إلى أعلى...

وكأن إشارته هى المنتظرة... و صدق أو لا _ لا يعنينى _ فأنا لم أصدق أن المربع الأسود يرتفع حتى وهو يرتفع... وردة فعل " ماجد " كأنه يقرأ جريدته اليومية.. أو كأن من هواياته الصعود على المربعات السوداء ..

اعلم... ثرثرة.. مربع أسود يصعد بنا لأعلى وسط الصفحات البيضاء.. أخاف المرتفعات.. و لكن لست أدرى أى ارتفاع نحن عليه ..

هنا توقفنا.. شعرت بهذا.. لم أشاهده.. شعرت به ..

-" ماجى أنور عبد المحسن " .

اقشعر بدنى عندما لفظ " ماجد " باسمها.. لكنه شعور لا يذكر.. ففجأة.. و أمامنا مباشرة.. انحسر البياض ليتمخض عن نافذه كبيرة زجاجية.. و رغماً عنى شهقت...

رغماً عنى اتسعت عيناى.. و رغماً عنى سقطت أرضاً...

فما ظهر كان غريباً... خضرة شاسعة.. و لكنها ليست ..

أعلم أنك سئمت من أنها كذا و لكنها ليست.. ولكن فعلاً ليست.. نخيل.. و أشجار و سماء صافية.. و ورود.. و حياة ..

حياه افتقدتها منذ دهر.. و سيارة... و ..

مهلاً سيارة؟! ..

ماذا أتى بها هنا؟! ..

ليس مكانها... توقفت السيارة فجأة ..

و انفتح بابها الخلفى... لتترجل منه ..

.. إنها هى...

فعلاً هى... مهجة قلبى...

إنها هى ..

كم هى جميلة...

نضرة ..

متجددة... كما أعهدها.. كما ألحظ من وسط دموعى التى لم أعط أمراً لها بالنزول .؛ نظرت ل- "ماجد " الذى بدى متأثراً.. صحت:-

- (" ماجى ".. يا أستاذ " ماجد "... ماجى ..)

و اقتربت أكثر من النافذة.. و ابتسمت رغماً عنى.. إنها هى ..

نعم و فى أحسن حال ..، أخذت تلهو مع فراشة ما.. حانية رقيقة كما هى.. نظرت للسماء شاردة.. أنا هنا يا قلبى.. أحبك كما كنت.. لم أنسك يوماً... أوحشتينى يا فاتنة قلبى.. و ملهمة كيانى.. الحياة موحشة قاسية من بعدك...

أعلم أنك هنا...

أشعر بذلك ..

و أشعر أن بداخلك أنا ..

حب قدسي ناعم ..

وكأنه ظهر من العدم...

رجل حليق.. كيف لم ألحظه؟!

لن تسير السيارة بدون سائق ..

أخذ يقترب منها فى تؤدة...

لا أدرى يا حبيبتى ما أنت عليه فى هذا المكان.. و لكن يبدو أنك ذو شأن هنا.. سيارة... و سائق.. طيبة المعشر أنتِ... تستحقين كل الخير .

مازال الرجل يقترب.. وهو يحمل شيئاً ما... إنه شال حريري.. اقترب منها ليضعه على كتفها.. فنظرت له بامتنان.. فابتسم بدوره فى حنان ..

لست أفهم.. أمسك بأناملها ..

انعقد حاجباى و " ماجد " يقول:-

- (يا ريت مايكونش اللى فى دماغى...)

لا يا " ماجد "... ليس هذا .؛ نظرت له فى حنان لتحتضنه ناظرين للسماء.. لا يا " ماجى "...

لا تنتهى هكذا ..

لست أنت تلك الأنثى ..

التى تعشق الرجل كرجل ..

و تبحث عن عضو ضخم.. و يُمتع.. بغض النظر عن اسمه أو صفاته.. لست أنت تلك المرأه ..

نهضت و أنا أقول ل- " ماجد ":-

- (مش فاهم ..)

ربت " ماجد " على كتفى.. و هو يقول فى مرارة:-

- (ياله يا " رائف ".. أدعيلها ربنا يكرمها ..)

أبعدت يده و أنا أصيح فى استنكار:-

- (يكرمها؟!.. و أنا؟!.. أنا مستحمل كل ده ليه؟! عشان أتباع ؟) .

نظر " ماجد " حوله فى توتر قلق و هو يهمس:-

- (اهدى يا " رائف ")

ابتسمت فى ألم و أنا أقول:-

- (لأ.. مش دى " ماجى " لأ ..)

و نظرت للنافذة صارخاً ..

- (" مااجى ".. ليه عملتى كده؟!.. ردى عليا ..)

و أضفت فى ثورة:-

- (رددددى ..)

أخذ " ماجد " يجذبنى من ذراعى.. لكن لا.. ليس بهذه السهولة ..

دفعته و أنا أقترب مختلطاً صراخى بدموعى ..

- (ردى يا " ماجى ".. مرتاحة كده؟! ..)

قلتها.. و أنا أثب مصطدماً بالجدار الزجاجى ..

أنا قادم أيتها العاهرة ..

و انتفض جسدى... ألم يعصب بكيانى إنه نوعاً من الكهرباء ..

جسدى يتصلب.. عروقى تتجمد ..

لماذل؟! ..

لماذا يا " ماجى " ..

صور مشوشة لـ " ماجد " يصيح ..

لا أسمعك أيها القرد...

الظلام ينتشر ..

جسدى ينتفض...

أحبك يا " ماجى " لدرجة أننى أكرهك ..

أكرهك كره الحب ..

.. هراء ..

قشره مخ تسرى بها التيارات الكهربية ..

و ..

* * *

(لم أستطع أن أفهم طبيعة الأنثى... رغم أننى قد مر علىَ الكثيرون وفى كل مرة أتساءل.. لماذا تحب الصراخ؟!.. و ترى أنها لا تفعل شيئاً... لماذا تأخذ دورات تدريبية فى سوء الظن و النكد؟!.. لماذا دائما ترى أنها تحبك أكثر مما تحبها أنت؟! و أنها مخلصة على طول الخط؟! ..

أسئلة.. لم أجد لها أجوبة... و لم أبحث لها أصلاً...)

فكأن هذا ما ينقصنى لأعيش حياة مرفهة هادئة.. "

* * *

سراب.. حالة من الضياع.. كيان منظم...

مهمات محددة...

فلك سائرة.. تسير فى مدارات متفق عليها منذ بداية الخليقة ..

منظومة كاملة.. سوداء اللون ..، ثمة ضحكات أنثوية تتعالى من وقت لآخر.. غير معلومة المصدر ..

لماذا؟! ..

تشعر بالبرودة فى أطرافك وسط صقيع الأمطار المتوترة ..

و تتصبب عرقاً عندما تتصدر الشمس كبد السماء منتظرة متحدية ..

لماذا يصبح الضعيف قوياً؟!.. لماذا اختفت الديناصورات مفسحة المجال للأفيال.. تاركة وراءها متحدثاً رسمياً ضعيفاً كالبرص و الحرباء و مجموعة من السحالى؟!.. لماذا؟!

لماذا؟!.. وردت كلمة لماذا.. فى الأسطر الأخيرة كثيراً؟! ..

لماذا؟! ..

لماذا ثانى أكسيد الكربون لا يشتعل و لا يساعد على الاشتعال؟!

و البضاعة المباعة لا ترد و لا تستبدل؟! ..

و الشرطة فى خدمه الشعب... ليصبح الشعب و الشرطة فى خدمة الوطن.. لتبقى الشعب و الشرطة و الوطن فى خدمة من؟!..

تفاهات على ورق... خارجة من تفاهات داخل عقل مريض.. تدل على تخلف عقلي مزمن.. تصاحبها نوبات من الصرع ..

مازالت الضحكات الأنثوية تتعالى... السواد حالك هنا.. إنه أنا... أشعر بذلك.. أشعر بأطرافى.. لست أطمع فى تحريكها.. و لكنى أشعر بها.. رائحة تبغ محترق.. إذن هناك رفقة.. أنا لست و حدى.. لنحاول محاولة أن أفتح جفنى... الضوء يلهب عينى.. الصورة مهتزة غير ثابتة...

أتوق إلى سيجارة من نوع الفاير الأحمر ..

أعلم أن تبغها صناعى.. فأنا مدخن نشط منذ سنوات...

بدأت الرؤية تتضح تدريجياً ..

أنا فى غرفتى.. داخل الفندق ..

- (حمد لله على السلامة ..)

إنه صوت.. معروف لأذنى.. هل أستطيع أن أدير رأسى قليلاً؟!

آسف.. يساراً ..

آسف لعدم دقتى ..

نعم هكذا...

شكراً على حسن تعاونك...

إنه " ماجد ".. مازال أصلع.. شاربه كث.. و عويناته غليظة.. ينفث دخان سجائره فى عصبية ويرمقنى بثباتٍ متحدٍ ..

أشعر أن جسدى.. أصبح خامة أخرى أكثر لزوجة.. التقطت لفافة تبغ من علبة سجائر بجانب الفراش

- طلب آخر - هل أستطيع التحدث؟! ..

أستطيع؟! ..

شكراً جزيلاً ..

- (أنا هنا إزاى؟! ..)

قلتها بصعوبة ليطلق " ماجد " ضحكة عالية و هو يقول:-

- (و أنت مالك؟!)

انعقد حاجباى متسائلاً:-

- (مش فاهم ..)

نهض " ماجد " فجأة.. و هو يقترب منى عاقداً يديه خلف ظهره .. ناظراً لى قائلاً:-

– (و لا حتفرق... عارف ليه؟! عشان أنت بجد خسارة فيك و قتى إللى ضيعته معاك.. و مركزى و منصبى كان حيضيع بسببك خسارة إنى صغرت نفسى ..)

احتقن وجهى و بدأت ترتسم على ملامحى أمارات الغضب ليتابع فى حدة:–

– (عادى.. الحتة بتاعتك ..أو اللى أنت لسه شايفها بتاعتك... شافت غيرك.. مسألتش نفسك... شافت غيرك ليه؟! ..لأ.. إزاى؟! عشت دور الضحية.. و ضحكت على نفسك.. و صدقت نفسك..)

التهم لفافة التبغ مكملاً فى قسوة:–

– (أقولك أنا بقى يا أبو الرجال... شافت غيرك ليه ؟ عشان أنت هنا و هى هناك.. أنت مرمى هنا... و مخدتيش منك غير القرف و المرمطة...و هى عايشة صح؟! و لا أنا بقول كلام غلط؟!..).

لم أجب فصرخ بوحشية:–

– (صح.. و صح جداً كمان.. لكن أنت متخدش بالك.. عشان أنانى خام ....حركات عيال ..و مسخرة.. و كنت حتقلب الاخرة بتهورك.. و أنا بطلت أشيل زبالة حد ..).

و جلس.. زافراً زفرة حارة.. محاولاً تهدئة نفسه خالعاً عويناته و هو يستطرد:–

– (أنا عملتلك إللى أنت عايزه يا " رائف " كل إللى أنت عايزه.. وجه دورى إنى أطلب منك اللى أنا عايزه.. بس صدقنى لو اتهورت تانى مش حتشوف نور.. و مش منى و الله يا بنى.. أنا غلبان..)

دقات متتالية على باب الغرفة ..

– (ادخل)

قالها " ماجد " ليدلف.. رجل أصلع يحمل قهوة.. كوبين من القهوة.. و يضعهما على الطاولة بجانب " ماجد " لينظر له " ماجد " بامتنان صارم و هو يقول:-

- (شكراً يا " فايز ".. ياله روح شوف وراك إيه..)

قال " فايز " فى دبلوماسية:-

- (أوامر " ماجد " بيه..)

ألقى عبارته و هم بالخروج...

"فايز "؟!.. إنه هو.. لقد جاء معى فى القارب ..

إنه هو زوج " روحية "، ناولنى " ماجد " القهوة و جلس على المقعد بجانب الفراش قائلاً فى إعجاب:-

- (عشان كده بحبك.. متهور.. و أنانى.. بس ذكى تفهمها من قبل ما تطير.. " روحية " راحت فرع الفندق التانى ..)

صعقت لما قال.. متراجعاً للوراء مع ابتسامات " ماجد " الشيطانية و هو يضيف فى دهاء:-

- (عيب ياله.. ده أنا قديم.. و عجوز.. قرد عجوز ..)

و انفجر ضاحكاً.. ضحكة مجلجلة.. من هذا الشخص بالضبط؟!

- (عارف.. أنت مستغرب.. و مش فاهم حاجة.. لما تقعد هنا شويه كمان حتفهم.. و حتعرف إن ده العادى.. أنت هنا عايش و سط شويه ديابه... شياطين.. أصل معلش الملايكة ملهاش عيش هنا.. فلازم تبقى زيهم.. عشان تفهم دماغهم.. حتساعدنى؟! ..)

قلت متوتراً:-

- (و.. و أنا حسعدك إزاى؟!)

ربت على ساقى فى إعجاب قائلاً:-

– (كده تعجبنى.. بص يا " رائف " و ركز معايا كويس عشان الكلام اللى حقوله ده مهم.. أنا – – و زى ما حضرتك عارف – – رئيس حركة " نحو نار أفضل " اللى حخليه حزب وخدت فكرة بسيطه عن سياستة.. و بينادى بإيه.. و عايز يغير الفساد.. اللى هنا إزاى.. بس فى مشكلة واحدة.. أنا عايز رمز... بطل بياكل سبانخ عشان " بابای " كان بياكلها.. و بيبقى قوى.. و يدغدغ أى حاجة.. أنا بقى محتاج " بابای ".. محتاج بطل يا " رائف " بطل قومى عايز " صلاح الدين الأيوبى " تانى.. " قطز " تانى.. صدقنى.. المكان ده عايز رمز يجمع الناس حواليه.. يوعدهم ببكره أحلى.. و أحلام تبقى حقيقية... بطل يحسسهم إنهم مش كلاب.. لا بنى آدمين.. ليهم حق فى حاجات كتيرة.. وللأسف يا بنى... أنا عقر آه.. و دايس فى الدنيا من زمان.. بس معنديش المقومات دى.. مقومات البطل.. أقرع.. عجوز... عندى بلاوى.. أنا عارف أنك فهمت أنا عايز إيه.. و عارف أن اإللى بقوله ده يبان أنه كلام مجانين.. بس لأ.. الكلام ده مدروس.. و أنا عارف أنا بقولك إيه ..)

رشف رشفة أخرى من قهوته و هو يلوح بيده أن أتحدث، لا أدرى ماذا أقول و ماذا يرمى إليه هذا الكهل.. المختل.. إلا أننى قلت فى غباء:–

– (إحنا هنا مش فى جمصة.. و لا أبو تلات و أنت أكتر واحد عارف إحنا هنا فين...)

قاطعنى فى سرعة:–

– (عارف.. عارف إحنا هنا فين... و ده طلبى... و أنت البطل اللى حيغير الواقع.. أنت اللى حيقول لأ.. كفايه كده.. و صدقنى يا بنى أنا حعرف إزاى أخليك البطل... الفارس.. إللى الناس تحبه و تحترمه.. بوسترات وفلايرات.. و شغل دعاية.. ابن قحبة ..)

نهضت – شكراً على النهوض – من الفراش و أنا أقول مستنكراً:–

- (لأ.. الكلام ده كله غريب و صعب ..)

نهض " ماجد " بدوره و هو يقول فى هدوء مستفز و ابتسامة صفراء مقيتة :-

- (ده طلبى... و أنت وعدتنى أن ليا خدمة عندك ..)

و على العموم يا بطل.. أنا مش مستنى منك رد دلوقتى أنا حسيبك تفكر لوحدك.. و حبقى أعدى عليك وقت تانى .

و اتجه إلى الباب و هو يلوح مودعاً فى اقتضاب :-

- (سلام يا بطل ..)

و خرج من الغرفة.. غالقاً الباب وراءه ..

صمت...

لا أعرف ماذا أقول؟!...

أو لا أعرف ماذا يقال؟!...

صمت...

صمتتتتت...

أكيد هناك شيء خطأ ..

فهى لا تسير هكذا... لقد تورطت.. و للأسف.. بكامل إرادتى.. بحثاً عن وهم جميل تحول إلى هواجس منغمسة فى الخوف حتى النخاع ..

- (يا أهبل...)

من أين هذا الصوت؟! ..

- (" رائف " يا أهبل ..)

ضحكات عالية مجلجلة.. من صاحب تلك الضحكات؟! نهضت كالمسعور أبحث عن مصدر الصوت

- (أنا هنا يا أذكى أخواتك ..)

هنا أين أيها الوغد سليط اللسان؟! ..

أبحث فى الغرفة... المقعد.. حاملة الملابس.. المنضدة.. مرآه الملابس.. ال.. مهلاً مرآه الملابس ..

نظرت متمعناً... سواد تحت عينى.. لحية غير مهذبة ..

- (صباح الجمال ..)

قلتها فى المرآه.. لا ليس ثانيةً ..، بدت أمارات التبرم على وجهى فى المرآه فقط:-

- (يا عم بقى.. تانى أنت برضو؟!)

وضع ساقاً فوق أخرى و هو يتابع فى نهم:-

- (طبعاً حرمت تحلق دقنى... زى ما هو باين.. بتهرب منى يا قاسى؟!.. تعملها معايا و تخلع؟!.. يهون عليك الود و العشرة إللى بينا؟!) .

زمجرت و نهضت من أمام المرآة متجهاً إلى علبة السجائر ..

- (بتنفضلى و أنا بكلمك؟! ..)

إذن فقد أصبح أقوى مما كان... إنه يتحدث حتى وأنا لست أمام المرآه ..

- (يا عم صحتك.. مش قولتلك غير السجائر دى ..)

أحضرت مقعدى و جلست أمام النافذة غير عابئ به فتابع فى سخط:-

- (ده أنت مش طايقنى.. غريبة.. حد ميبقاش طايق انعكاسه؟! إخص على الدنيا... بينى و بينك.. أنا عارف أنك فيك إللى مكفيك بس أنا لو مكانك أوافق ..)

استدرت فى حدة صائحاً فى غضب:-

- (حاجة متخصكش ..)

ابتسم أنا الانعكاس و هو يقول بصوت جهوري:-

– (يا عم أنت.. أنت من ساعة ما جيت هنا و أنت متبهدل.. و متمرمط حد يلاقى دلع و ميدلعش؟!)

و تابع:–

– (آه فيه.. أنت ..)

ورفع عقبرته صائحاً:–

– (يا " رائف " يا أهبل ..)

هذا ما كان ينقصنى استدرت له فى صرامة فتابع فى سرعة:–

– (آه أهبل.. فى نتايه خلقها ربنا تفضل تحب واحد كل ده؟! ..

لو زمان أقولك آه.. زى أمك و أمى.. الأب يسافر بلد عربى يحوش.. و كل علاقته بعياله إنه جابهم.. عشان عاوز يدلع مكنته فى الحلال.. و الأم هى اللى تربى و تكبر.. و تودى مدارس.. و تذاكر و تفسح وتقفشك وانت بتشرب سجاير وتمسك منك بواكى البفرة وتلم دبابيس الطرح والشربات الحريمى من وراك.. الحريم دلوقتى اختلفت يا برنس الليالى.. من ساعة ما لغو الختان والحريم اختلفت.. و أنت رايح لحد البر التانى عشان تشوف واحدة.. و فاكرها حتستناك؟!.. شوفلك وظوفه من بتوع الفراخ البيضة اللى بالغة اول امبارح وربيها على ايدك ،بس إحنا متفقين.. على إيه؟!.. مترد ..)

ارتسمت ابتسامة متحدية مستفزة على ركن فمه و هو يزيد:–

– (يا " رائف " يا أهبل ..)

– (كفاية ..)

قلتها فى ثورة.. فتراجع مرتسمة عليه أمارات الخوف و هو يقول فى خنوع:–

– (خلاص.. أرجوك متأذنيش.. أنا آسف ..)

و اقترب رامقاً إياى بنظرة و هو يقول فى هدوء و تحد:–

- (يا أهبل ..)

لا كفى لقد فاض الكيل.. أيها الوقح.. سأدمرك.. نهضت فى سرعة و أنا أركل المرآة بقدمى و أنا أصيح:-

-" غور بقى ..

تهشمت المرآة.. و أنا ألهث أمامها و أناملى ترتعد و عرقى يتصبب...

اصمت أيها الوغد ..

- (طب ليه العوء ده.. ده إحنا اسمنا زى بعض حتى ..)

يا إلهى.. سئمتك.. ارتميت على الفراش زافراً زفرة حانقة و هو يتابع من مرآة الحمام:-

- (أنا بقى لو منك.. نتصاحب.. نفضفض لبعض.. الدنيا مبقاش فيها أمان.. الواحد بقى مش عارف الضربة جياله منين.. حتى هنا.. كله بياكل فى بعضه.. أنا لو منك أبقى بطل... آه بطل وما له يا عم؟!.. مابحبش السبانخ.. أحبها إيه الحوار يعنى؟!.. مشى حالك يا برنس البرانيس.. وبص البصوص...)

الصداع يكتف رأسى.. إنه آلة متنقلة للثرثرة.. أكمل:-

- (يا عم جميل... واللّه زى الفل.. نحو نار أفضل.. نحو و صرف.. أى نحو يابا.. خليك مفتح ..).

- (" رائف " ..)

قلتها محاولاً تهدئة نفسى.. حتى رد على:-

- (أيوز؟!.. مين بينده ؟ ..)

- (ممكن يعنى.. لو أمكن.. أنام شوية؟!).

- (تصدق إنك جبلة؟! حد يجيله نوم فى الظروف دى؟! هه.. ماشى.. أنا حاسيبك تنام..بس عشان أنا صاحب واجب...تصبح على خير يا "رائف"..)

استلقيت على الفراش محاولاً التفكير فى ما قاله " ماجد"...

- (يا عم ما ترد.. مفيش و أنت من أهله ..)

- (و أنت من أهله ..)

قلتها فى سخط ..

- (حبيبى و اللّه يا " رائف " أنا حخلع ..)

انعكاس مقزز.. مثير للغثيان.. أشعلت لفافه تبغ ..

لا أقوى على التفكير فى الأحداث السابقة.. تفكيرى فيها فى حد ذاته يجعلنى ألهث ..

- (" رائف " يا أهبل.. نياهاهاهاها حلوة... طب و اللّه حلوة ..)

* * *

لم أدر كيف و لا متى استسلمت للنوم... و لا كيف و متى استيقظت.. المرآة مهشمة كما هى.. ارتديت ملابسى و حذائى الرياضى.. لا أعرف وقع ما سأقوله على أذنيك... و لكن أوحشتنى مقهى " آخر ساعة "... التقت علبة سجائرى من فوق الكومود.. ثمة شيء ملقى بجانبه.. انحنيت لألتقطه...

غريب ..إنه شال.. من الحرير ..

ما الذى أتى به إلى هنا؟!.. لونه مألوف لدى.. تجمدت يدى...

إنه هو... الشال الذى كانت ترتديه " ماجى "...

أقسم أنه هو...

كيف؟!

كيف أتى إلى هنا.. هل هى هنا؟! ..

لا أعتقد.. أعرف نظرة المرأة عندما تغرم برجل...

و رأيتها فى عينها مع ذلك الحليق...

إذن كيف أتى إلى هنا؟! ..

غريب...
لكن بدأت أعتاد كل هذا الهراء...
نوعاً ما ..
مرحباً بك أيها الشال فى غرفتى المتواضعة ..
يا شال حبيبتى الوحيدة... التى حفرت حروف اسمها الأولى داخل قلبى..
حفراً عميقاً غائراً ..
وضعته حول رقبتى...
رائحة عطرة... زكية ..
لن أنساك... أيتها الصغيره...
و لتنعمى أينما كنت...
ووعد من حبيب سابق ..
لن أظهر فى حياتك مرة أخرى ..
و لن تسمعى مرة أخرى عن ذلك الوغد المسمى....
بـ " رائف أبو المجد "
لن تسمعى قط...

* * *

الوجوه كلها هنا غير مألوفة.. كل ما أعرفه هنا هو قهوتى...
أتابع الحياة الدائرة بعين شاردة غير مبالية ..
.. حتى أتى من بعيد.. أنا أعرف هذا الشاب...
.. هذه العين الثعبانية.. أتذكرها ،،
يقترب نحوى متبسماً فى تحدٍ ..

إنه بائع المخدرات.. تذكرته .؛ انضمت قبضتى...
و تحفزت عضلاتى ..
دس يده بجيبه
تحفزت أكثر ..
..وأكثر ..
و ..
أخرج ورقة مطوية من جيبه ووضعها على الطاولة.. بجانب قهوتى و ابتسم فى مجون و هو يقول:-
- (واله زمان ..)
و اقترب أكثر هامساً:-
- (يا " رائف " ..)
و بدأ بالابتعاد.. فأمسكت الورقة مطالعاً ما بها ملتهمة عينى سطورها ..
- (شارع [عذاب] و دلوقتى...)
(روحية)
ما هذا؟! ..
نظرت نحو الفتى بائع المخدرات و لكنه - طبعاً - قد اختفى...
ألن يمر يوم بدون ألغاز و متاعب؟! ..
لن أذهب... جميل؟!...
اصمت و كفى صداعاً ..
تعرف أن فضولك أقوى.. من حبك للهدوء والاستقرار ..
و تعلم أنك ستنهض هكذا..
نعم هكذا...
و ستذهب... أيها الوغد.. أنت تحفظنى عن ظهر قلب ..

و لكنى لا أعلم.. أين هو شارع " عذاب "...

ولدت لا تعلم...

و ها أنت تعلم ..

ولدت لا تستطيع و ها أنت تستطيع .

أسير فى الطرقات.. بخطوات سريعة...

سألت المارة... إنه قريب... جيد المارة هنا متعاونون.. على غير العادة..

إننى أقترب... أسير بخطوات أقرب للعدو ..

هذا هو الشارع... لكنه خال... أسير به أكثر ..

إضاءات سيارة قديمة الطراز صفراء اللون كشافها الأمامى بغتة ..

.. أنها هى.. اقتربت من السيارة ليطالعنى وجهها.. و هى ترتدى منظاراً شمسياً و تُتمتم:-

- (اركب...)

لم أدر لماذا.. ركبت السيارة؟! ..

و لكننى شعرت أنه الصواب ..

- (افتح التابلوه ..)

لفظت عبارتها.. و أدارت محرك السيارة لتبدأ فى التحرك.. هممت بفتح التابلوه.. لأجد مسدساً فتراجعت يدى و نظرت لها متوتراً فقالت:-

- (" فايز " هنا... و عايزنى... و مش ناسي... قالب الدنيا علىّ ..)

أيدتها قائلاً:-

- (شفته إمبارح ..)

أجفلت للحظة و هى تعض شفتيها السفلى لتقول فى مرارة:-

- (و المرة دى مش لوحده.. ده تحت إيد " ماجد "... " ماجد أبو الفتوح"... . ده كان بيجيلك الأوضة كتير..)

سرت قشعريرة باردة بجسدى عندما ذكرت اسم الأخير فهتفت متنهداً:-

- (عارفه كويس..)

ابتسمت فى شفقة و هى تقول و عينها مع الطريق:-

- (عارفة.. عارفة إنك عارفه كويس... الراجل ده مش سهل.. و بيحضر لحاجة كبيرة.. و أنت طرف فيها..)

قاطعتها محتداً:-

- (حاجة.. زى إيه يا " روحية "؟!.. مش وقت كلام مدارى و ألغاز..)

- (و الله معرف... بس حاجة خطر يا " رائف ".. إنت لازم تهرب.. وده بجد... مش نصيحة.. ده أمر... الراجل ده داهيه... خد المسدس).

انحرفت فى طريق آخر و هى تكمل:-

- (اهرب يا " رائف ".. استخبى فى أى حتة..)

صحت مستنكراً:-

..(لا.. أكيد هو هنا مش كل حاجة ..)

- (" رائف "... مش وقته.. اسمع يا بنى.. أنا مش حقابلك تانى ممكن تكون دى آخر مرة.. اهرب يا " رائف "... خد المسدس و اهرب..)

- (بس ..)

صاحت ثائرة:-

- (أنت مش فاهم حاجة ..)

إصرار عجيب... تقترب به تلك السيارة نحونا.. إصرار مميت ..

صمت..

و عدم اتزان...

السيارة تدور حول نفسها بعنف...

اختلال ..

و ألسنة نيران تشتعل .

و لا شيء...

هدوء... .

جسدى يصرخ محتجاً من كثرة الألم.. طعم مالح فى فمى.. إنها الدماء.. لقد انقلبت السيارة ..

آهات " روحية " واهنة...، تتنفس بصعوبة.. لقد تهشمت و تسبح فى بركة من الدماء.. نظرت لى فى ألم و هى تبتسم رغماً عنها فى صعوبة و غمغمت فى وهن و خفوت:-

- (اهرب يا " رائف "... اهرب ..)

و سعلت لتراً من الدماء.. حاولت الخروج و جذبتها معى فصاحت فى خنوع:-

- (مفيهاش... اهرب.. اجرى لأبعد مكان.... مفيش وقت..)

ألسنة اللهب تتزايد...

ركلت باب السيارة المهشم.. و أخذت أزحف فى بطء.. مخترقة جسدى قطع الزجاج المتناثرة.. أيها الوغد.. لقد فعلها " فايز " .

و هنا دوى الانفجار... انفجار عات مهيب ..

أخذت أزحف ..

و أزحف ..

لا أستوعب شيئاً... كيف يحدث هذا هنا؟!.. إنها ليست ناراً.. إنها آدمية أكثر من اللازم.. تفوح منها رائحة الغرائز و الأطماع و الأحقاد البشرية...

حسرة و مرارة.. تمزق نياط القلب ..

نهضت فى صعوبة.. مطالعاً ألسنة اللهب و بقايا السيارة المختلطة بأشلاء " روحية "...

مازالت بجيب بنطالى لفافات تبغ...

و مازال الشال حول عنقى...

لفافة تبغ بطعم الدماء ..

أخذت أسير بخطوات سريعة مبتعداً عن ألسنة اللهب.. فقد بدأ الطريق يعج بالمتسائلين ..

نظرة غاضبة.. حفرت على وجهى...

مقت و احتجاج يكتنف قلبى...

لا.. هذه أكذوبة ..

إنها ليست ناراً ..

بدأت أتفهم أنها خدعة.. ما.. " ماجد " طرف فيها ..

الأمور تتضح تدريجياً...

لقد ظللت مخدوعاً ..

مازالت السماء برتقالية اللون... بلا سحب... أى مكان هذا؟! إين ينتهى؟!...

سأعرف...

أقسم بقبر أمى.. إذا كان لها قبر ..

إننى سأعرف ..

حتى لو فقدت حياتى.. ثمناً لهذا ..

* * *

ولدت لا تعلم... و ها أنت تعلم...

ولدت لا تستطيع.. و ها أنت تستطيع ..

* * *

(آخرها؟! آخرها يعنى إيه؟!..)

* * *

(أقولك أنا يا بيه.. أخر المكان هنا على حسب معرف.. حته اسمها " اللهبة " و اللّه أعلم...) .

* * *

(بص يا بشمهندس.. أخر المكان ده كله حتة اسمها اللهبة) ..

* * *

(معاك ولاعة؟!)

* * *

(إنها اللهبة.. لم أذهب.. و لكننى سمعت..)

* * *

(إشحنلى ده و أنا أقولك.. يا موز)

* * *

(اللهبة يا بنى.. بس صدقنى محدش بيخرج من هنا.. أنا شعرى شاب فى المكان ده.. كح.. كح..)

* * *

(اللهبة يا ماو ..)

* * *

(أقولك يا هندسة.. أنت حتركب لا مؤاخذة تونايه من ميدان (الحريقة) حتلاقى مكتوب عليها ملهبة)

* * *

(اركب توك توك يا خويا.. حيوديك)

* * *

(اركب ٩١٤..)

* * *

(روح ميدان الحريقة.. وألف من يدلك هناك)

* * *

إذن.. فهى منطقة تدعى الملهبة... لم يذهب إليها الكثيرون.. و لكنها معروفة... فليكن.. سأذهب.. فلن أخسر أكثر مما خسرت.. سأذهب لأعرف ما حدود... و ما نهاية هذا العبث .، ها هو ميدان الحريقة المزعوم... ميدان كبير يكتظ بالحياة... و لك أن تتخيل مما يتكون الميدان.. تمثال كبير الحجم نسبياً.. ينظر لأعلى.. فاتحاً فاه.. مخرجاً خيطاً من اللهب المستعر.. يبدو لى من حركة المارة أنه ميدان حيوى هنا.. فالكل سائر فى وجهة معينة.. بخطوات سريعة.. ولك أن تتخيل تلك الشاحنات الصغيرة حمراء اللون.. التى يمتلئ بها هذا المكان... ثمة حافلة سائرة.. مكدسة باللحم البشرى ..

- (ياله ملهبة.. ملهبة يا بيه؟!... ملهبة يا أبلة؟!)

قالها.. رجل قصير مشحم بصوت جهورى و هو يرفع عقيرته للسماء خارجاً من إحدى الشاحنات الصغيرة.. فاقتربت منه.. و كأنه وجد ضالته المنشودة قال لى فى سرعة:-

- (ملهبة يا بشمهندس؟!.. فاضل نفر ..)

- (ياله بينا ..)

فاستدار للسائق و هو يقول:-

- (فل عليك يا ريس " جنيدى " العربية دى حملت ..)

و هبط من الشاحنة ليتوجه إلى أخرى صاعداً إليها و هو يصيح بنفس النبرة الجهورية:-

- (ياله ملهبة... ملهبة يا شيخ؟!.. ملهبة يا ماما؟!)

دلفت للشاحنة الصغيرة... ليهم السائق بالسير.. و بدأنا التحرك لم أعد اتعجب كون الذى بجانبى.. يرتدى طربوشاً....

او الذى امامى يرتدى حزام ناسف حول خصره.

سأعرف.. و سأستطيع.. سجيتى تقول إن هناك خطأ ما.. إنها لعبة محكمة.. و لكنها غير مقنعة بها ثغرات عدة.. و سأكتشفها.

طرقات.. سيارات.. جمال... عجلات حربية.. و عرق كريه الرائحة ..

- (يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم.. ناقصة هى على الصبح ..)

ألقاها السائق معترضاً.. فنظرت إلى حيث ينظر لأجد لجنة.. و ضباطاً بملابس حمراء.. لا.. إنها كوميديا بحتة ..

هدّأ " جنيدى " من سرعة شاحنته.. حتى توقف أمام العائق ليقترب منه شخص مخيف الملامح.. غليظها قائلاً بصوت أجش:-

- (كارنيه تعذيبك.. والرخص.)

و أكمل و هو ينظر لرواد الشاحنة:-

- (كله يطلع كارنيهاته ..)

عن ماذا يتحدث هذا الغليظ؟! ..

ما معنى كارنيه تعذيب.. أنا لا أملك واحداً ..

هم الجميع بإخراج الكارنيه.. إلا أنا.. و صاحب الطربوش الذى بجانبى.. الذى امتقع وجهه ..

و الضابط يفتح باب التونايا.. ملتقطاً الكارنيهات.. ملتهماً ما بها من بيانات.. حتى توصل لصاحب الطربوش و هو يسأله فى تعجرف:-

- (و البيه؟! ..)

- (نسيته.. و..)

ضحك الضابط فى سعادة مخيفة.. وهو يلوح له بالنزول صائحاً:-

- (طب إنزلى كده.. نفتكر مع بعض نسيته فين ..)

.. و صرخ فى عنف:-

- (ياله يابن الهرمة ..)

..فنهض الرجل مترجلاً من التونايةَ.. مرتعد الفرائس.. لينظر له الضابط بنظرة شاملة و هو يصيح:-

- (يا " شبراوى " ..)

ليظهر " شبراوى " كائناً.. ضخماً.. شارب كث.. و جسد يذكرك بالتوءم الملتصق.. و كف عجيب يشعرك أنه مصنوع بالطلب.. ماسكاً بتلابيب صاحب الطربوش و الضابط يقول:-

- (فتشه كويس الأول.. ليكون معاه حاجة و يبلعها.. إحنا مش ناقصين ." وخد عم الشيخ ابو حزام ناسف ده معاك يصلى العصر معانا... مش العصر أدن برضك؟).

و أغلق الباب...

.. مهلاً و أنا؟! ..

لماذا لم يسألنى عن كارنيه التعذيب الخاص بى؟! ..

و كأنه يعلم بما يدور بعقلى ..

فابتسامته الشيطانية لم تفارقه و هو يرمقنى مباشرة فى عينى.. غامزاً لى و هو يشير لمن يجلس بجانب العائق قائلاً:-

-(عديهم يا بنى ..)

.. و يبتسم لى فى دهاء.. ليستدير ..

إنه يعرفنى ..

كيف؟! ..

.. لست أفهم ..

ارتفع العائق.. ليسير " جنيدى " غير مصدق أنه نجا ..

أخرجت علبه سجائرى _ تباً لم يتبق سوى واحدة _ ..

أى عبث هذا؟! ..

لماذا تركنى هذا الضباط؟!

- (على جنب يا أسطى ..)

وجوه تتبدل... و شوارع تتغير.. أشعلت لفافتى الأخيرة مبعثراً دخانها..

- (على جنب لو سمحت ..)

هل سيتركنى " ماجد " هكذا؟! ..

هل ما حدث الآن له علاقة به؟! ..ما مدى نفوذه هنا؟!

لم أستطع أن ارتاح له.. على الرغم من كل ما قدم لى من مساعدات أقدر ما فعل معى...و لكننى لست " بابای ".. و لا أصلح للعب هذا الدور ..

- (يا باشا ..)

لست هذا النوع من الرجال.. الذى يتصدر دور البطولة ..

فتتساقط خصلات شعره.. على عينه و هو يتشاجر مع الشرير ..

- (يا أستاذ)

.. لست وحش الشاشة.. أو معشوق النساء.. أو حتى نجم الجيل ..

- (يا باا.. أنت فاصل سماعة ودانك؟! و لا كارت الصوت عندك مش متعرف و لا أنت إيه نظامك؟! ..)

لقد توقفنا.. نظرت حولى.. إن التونايه خالية.. نظرت للسائق الذى كان ينظرلى بحنق و مقت و هو يزمجر:-

- (إيه يا عم؟! حمد لله على السلامة.. اصطباحتك لوز...)

تساءلت :

- (هو أنت كنت.. بتكلمنى؟!)

ضحك فى سخرية.. محركاً كمية لا بأس بها من الأرطال و الشحوم.. حتى سعل.. باصقاً من النافذة و هو يهتف:-

- (على الحرام آه.. ياله ورانا أكل عيش ..)

نظرت حولى و أنا أتساءل:-

- (هى دى الملهبة؟! ..)

قلتها و نهضت و هو يقول:-

- (آه.. أمال إيه؟! ..)

موقف للشاحنات.. و لكنه خال إلى حد ما.. وحوله صحراء.. فاستدرت نحو السائق و أنا أقول:-

- (هى دى آخر النار؟! ..)

احتقن وجهه.. وانعقد حاجباى و هو يقول فى حذر:-

- (لا.. ده آخرى أنا ..)

لاحظت تبدل ملامحه.. إنه يعرف فسألته فى إلحاح:-

- (لا.. أنا عايز الآخر.. آخر المكان ده ..)

زمجر حانقاً مشعلاً لفافه تبغ.. ليسعل ناظراً إليها فى غضب متحسساً إياها و هو يغمغم فى ازدراء:-

- (يلعن أبو النفرتيتى على اللى بيشربها ..)

نفرتيتى من؟!.. تابع فى تبرم:-

- (كفاية خشب بقى ..)

و نظر لى مبتسماً و هو يقول:-

- (أنا فاضلى.. علبتين كمان.. و أكمل أوضه النوم..)

و أخذ يضحك على دعابته التى لم استوعبها، لاحظ أننى لم أشاركه الضحك فزوى ما بين حاجبيه و هو يقول:-

- (شكلك جديد هنا..)

رددت عليه مؤيداً فتابع:-

- (و سيادتك عايز الآخر ليه بقى؟!)

قلت فى هدوء:-

- (عشان أنا عارف إن إللى إحنا فيها دى مش النار.. و إحنا مضحوك علينا و ..)

بتر عبارتى صائحاً:-

- (إيه يا عمنا هو نص شريط " الأباترل " حيزاولنا ولا إيه؟!.. وطى صوتك يابا.. أنا آخرى معاك هنا.. عايز الآخر كمل طوالى ..)

وأشار بيده للصحراء و هو يصيح:-

- (يلعن أبو أشكالكو... جايبنا وجايبين النار ورا... اتفوه...)

و سار بالتونايةٍ بعيداً ..

أيها الوغد.. يا صاحب مخ البسلة ..؛

أنا هنا شبه وحيد و النهاية - كما قال مخ البسلة - عبر تلك الصحراء...

التردد يستعمر كيانى.. كيف سأسير فى تلك الصحراء؟! ..

فضولى قوى لا أنكر...

و لكننى بلا ماء ..

و لا سجائر ..

و بلا أمل...

- (اهرب.. يا " رائف ".. اهرب ..)

– (عيب ياله.. دأنا قديم و عجوز.. قرد عجوز)

.. ابتسم فأنت فى النار ..

سأذهب ..

سأذهب.. دون ضمانات ..

لو كانت تلك خطة لقتلى.. فإننى أشهد لمن خطط لها.. بالعبقرية ..

سأذهب و كفى ..

تحسست الشال حول رقبتى ..

لآخذ نفساً عميقاً...

و أبدأ فى التحرك ..

اعلم أننى أبله ..

متهور ..

و أن نهايتى قريبة ..

قرب الوريد ..

و لكننى سأذهب ..

* * *

(٦) بعض من الهراء

* مفكرة رقم [٥]:-

(اسألينى يا حبيبتى عاللى داير فى البلاد... اللى فيها صادر حلمى.. و باعوا صوتى فى المزاد ..

اسألينى عن ولاد شفتهم بعنيا دول.. جربوا كل الحلول.. وبيفشلوا بالاجتهاد ..

أحكى ليكى ألف قصة عن حكاوى التعبانين... اللى عايش نص ميت و اللى ميت من سنين...، اللى نص كلامه كحة... واللى شاف خماره راحها.. و اللى أكل العيش دبحها دايرة دور عالسكرانين) .

* فرقة "بلاك تيما" .

أغنية " زحمة " .

* * *

صحراء... و خطوات ثقيلة.. و رمال ساخنة ..

أسير منذ مدة.. جهازى التنفسى يعترض ..

صدرى يسب ببذاءة ..

الحر شديد هنا...

أسير...

و أسير.. بلا هدى أو خريطة ..

أظن أن ثمة شرخاً بكتفى... أشعر بالألم ..

.. قدمى تتمنى البتر عن السير أكثر من هذا ..

رمال...

ثم رمال...

ثم رمال...لا شيء آخر سواى... طبعاً ليس هناك شخص آخر بهذا الغباء للدخول هنا .

ألهث من فرط الإرهاق... وليس هناك ما يبشر بنهاية...

-" متسيبك من الفيلم الأكشن الحمضان ده" ..

أعرف الصوت...

و أعرف أنه غير منطوق... إنه صوتى ..

- (يا بنى ارجع يا بنى.. اسمع كلام انعكاسك يا بقف..)

أنا أهذى.. إنه جالس بداخلى.. لن أرد... ولن أنبس ببنت شفة.. صامت كالموت .

- (ارجع يا " رائف " بدل ما أرجعك أنا ..)

نعم أشعر بلهجة التهديد.. إنه ازداد قوة ... صحت فى مقت:-

- (روح شوفلك حد غيرى ..)

ضحكات شيطانية تنطلق.. وهو يقول متهكماً:-

- (عيب هو أنا ليّا غيرك؟!.. ارجع ياله.. يابنى حد يكره يبقى بطل؟!)

.. لن أعود... إنها رحلة اللاعودة...

- (" رائف ") .

زدت من سرعتى... فزادت حدة صوته:-

- (اقف ..)

هل زاد ثقل قدمى؟! ..

أشعر أننى أحمل طناً.. و أشعر بضحكاته الظافرة ..

قدمى تأبى التحرك... و كأنها داخل قالب من الأسمنت ..

- (شاطر.. لف بقى وارجع.. فى ناس محتجالك..)

عضدت شفتى فى قهر... إنه يحاول التحكم بجسدى.. أقاومه بصعوبة و أمنع نفسى من الاستدارة.. و هتفت فى ألم:-

- (أنت مش فاهم حاجة ..)

واثق.. هادئ.. أعطانى الرد:-

- (على الأقل فاهم اللى يعيشنا... لو أنت مُت.. أنا حموت و أنا مش عايز أموت دلوقتى..)

ضحكت على ما قال.. و سقطت على ركبتى و أنا أضحك.. فصاح متسائلاً:-

- (كلمة دلوقتى بتضحكك؟!)

- (يا عبيط.. إحنا كده كده ميتين.. حتفرق معانا إيه لما نموت تانى؟!)

قال فى تهديد:-

- (متخلينيش اتغاشم عليك.. و ارجعك عافية..)

نهضت محاولاً تجاهله.. مكملاً سيرى... فأضاف فى وحشية جمدت الدماء فى عروقى:-

- (ماشى كلامك يا " رائف ") ..

إنها لكمة... أطاحت بى للوراء.. لأسقط أرضاً فى عنف و ألم ..

- (مش متخيل كمية الحاجات البايظة إلى جوه دماغك ..)

ارتطمت رأسى بالأرض الرملية.. و اللكمات تنهال على وجهى.. لأبصق اثنين من أسنانى.. و هو يصرخ:-

- (ترجع معايا بالذوق.. و لا أكمل؟! أنا فاضى ..)

الدوار يملأ رأسى ..

لقد صار قوياً... عاتياً.. هل معنى هذا أننى قد اقتربت من طريقى؟! .

أسير بخطوات واهنة... مترنحة.. لأطير للوراء مصطدماً بالرمال.. مطلقاً آهه ألم مكتومة....

إنه قوى لا أنكر.. و لكننى لن أعود.. قلت لن أعود، أحاول النهوض فى تهالك.. أيها الحقير.. لن تتحكم بى ..

- (يا " رائف ".. اعقل يابنى..)

- (لاا.. مش حقف.. أنا حكمل..)

ضحكات عالية.. داخل رأسى.. و هو يقول:-

- (لا حتيجى معايا.. أنا ماصدقت.. إنى أبقى انعكاس محترم.. لرجل مهم.. وماصدقت إنى.. آخد فرصتى.. وأبقى أقوى.. طول عمرى.. صفر على الشمال.. مليش لازمة.. و لا ليّا دور.. بس دلوقتى دى فرصتى.. أنا سيبتك كتير.. سبنى أنت بقى..)

إذن.. أنت انعكاس غاضب.. متمرد ..

و لكنك نسيت ..

نسيت أنك انعكاسى أنا...

أنا الأصل.. أنا الأقوى.. و ليس أنت...

ارتسمت ابتسامة هادئة على ركن شفتى.. و أنا أقول فى هدوء صارم:-

- (أنت مبقيتش كده.. غير لما قربت.. لما قربت لهدفى.. و مهما كنت قوى.. مهما كنت مش حتبقى أقوى منى..)

قلتها و نهضت و أنا أفتح ذراعى صارخاً فى تحدٍ:-

- (ياله يا انعكاس البطل.. خدنى بالعافية.. أنا قدامك)

- (بدأت تفهمنى.. ياله يا بطل..)

استدرت عائداً أدراجى و أنا أتمتم:-

- (البطل.. " رائف أبو المجد " ..)

و.. انهلت بلكمة عاتية اصطدمت بأنفى فى قوة.. ياله من ألم ..،صوت التهشم صدر منها.. سعلت وأنا أضحك فى هستريا صائحاً:-

- (ياله بينا للمجد ..)

مترنحاً أخذت أكمل طريقى.. و ضحكاتى عالية.. ووجهى مغطى بالدماء.. لتصطدم قبضتى المضمومة بقوة و سرعة بمعدتى.. أشعر أن معدتى لا تصلح حتى لشرب كوب من الماء ..، أخذ يصيح:-

- (عايز توصل لإيه؟! مش قادر أفهمك).

جثوت على ركبتى و أنا أضحك ساخراً فاقدا بعض الأسنان... ومهشم الأنف.. لأهتف متهكماً بنبرة ساخرة:-

- (مش قادر تفهمنى.. لأنك.. دورك فى الفيلم انعكاس.. انعكاس ليا أنا.. أنا الأصل.. و أنت الصورة.. و عايز أقولك على حاجة يا أستاذ انعكاس ..)

و ضغطت على حروف عبارتى مضيفاً بقوة تجمد الدماء فى العروق:-

- (أنا مش راجع.. حتى لو مت هنا..)

و هويت بقبضتىّ الاثنتين على ما بين ساقىّ فى بأس ..

و كأن روحى تقوم بسحبها مكنسة كهربائية...

لا أستطيع التقاط أنفاسى...

الألم لا يحتمل...

- (أنت مجنون.. مجنون يا " رائف " أنا بكرهك ..)

ارتسمت ابتسامة واهنة... و الألم يعتصرنى.. و أنا أغمغم فى خفوت متألم:-

- (ورينى بقى حترجعنى إزاى ..)

الصورة ليست بكفاءة عالية.. السائل الأحمر يملأ وجهى.. الدوار.. يمتلئ به عقلى ..

الإضاءة تخفت تدريجياً ..

- (بكرهك ..)

مازال الشال حول عنقى.. لا أميز سوى اللون البرتقالى للسماء ..

هناك شيء يقترب ..

لا أدرى كنهه ..

اقتلع التمييز من شبكية عينى ..

لا أدرى شيئاً... خيالات.. ظلال...

سئمت كثرة فقدانى الوعى فى هذا المكان الكريه ..

سئمته... و لكن لا مفر ..

فببساطة.. أنا فى طريقى إلى فقدان الوعى ..

باقى ثلاث ثوانٍ على فقدان الوعى ..

٢ ..

١ ..

تم فقد الوعى بنجاح ..

* * *

- (استيقظ يا فتى مصر ..)

.. عبارة هادئة من صوت عميق محبب للنفس.. صوت له نبرات تستمتع بحروفها و تستمتع بدخولها فى خفة إلى أذنك ..

.. نفس الألم.. لكنه أقسى.. تحسست بلسانى أسنانى المفقودة.. فتحت عينى بصعوبة... إنه الشيخ العربى.. بلحيته المهذبة.. و ملامحه الصارمة الهادئة.. ابتسم ابتسامة ودودة وهو يتابع بنفس الصوت العميق:-

- (حمداً للّه على سلامتك.. إن إصابتك بالغه أيها الفتى.. و لكن الله كريم ..)

إننى مضمد... عارى الجذع.. أين الشال؟.. تساءلت فى وهن:-

- (أين الشال؟! الذى كنت أرتديه ..)

إنها الفصحى مرة أخرى... ابتسم الشيخ فى إشفاق وهو يقول:-

- (لا تقلق يا بنى... إنه فى أمان.. المهم الآن أنك بخير...)

ابتسمت فى صعوبة و أنا أحاول الاعتدال.. و لكن هيهات.. إنه ترف غير قابل للتواجد .

نهض الشيخ فى هدوء و أخذ يربت على كتفى فى حنان و هو يقول:-

- (استرح يا فتى مصر... سنأكل الآن.. و نتحدث بعدها قليلاً..)

أتم عبارته و نظر لباب الخيمة.. نعم.. خيمة غالية الصنع.. و مفروشة من الداخل بفرش يدل على البذخ.. مصباحان مشتعلة بداخلهما النيران.. ثمة جلد من الماعز معلق ليقول:-

- (" فاطمة ".. هلمى بالطعام ..)

إنه نفس العطر.. تذكرته أنفى فى نفس الحين الذى دلفت الفتاة للخيمة فيه.. هى.. بشعرها الأسود المنسدل.. الذى يتصدره نفس القمر.. بنفس الحسنة المرتسمة.. حاملة صحيفة ممتلئة بالأرز الذى يتمدد عليه خروف صغير شهى الشكل و الرائحة.. لكن عطرها كان أقوى.. اقتربت.. ووضعت الطعام.. فى استحياء على المنضدة الخشبية القصيرة نسبياً فقال الشيخ فى امتنان:-

- (شكراً يا " فاطمة ")

صوت رقيق حان:-

- (هل تأمرنى بشيء آخر يا شيخ " فارس ")؟!

- (الأمر للّه يا بنيتى ..)

انصرفت فى سرعة.. جميلة كانت.. لست من النوع الذى يفقد سيطرته أمام المرأة الفاتنة.. ولكن ليست " فاطمة " .

بدأ الشيخ يشمر عن ذراعيه ممسكاً بالخروف مقسماً إياه إلى قطع وهو يدعونى للطعام.. ترددت قليلاً إلى أن سألته:-

- (و لكننى أعلم يا سيد " فارس " أن الطعام هنا ممنوع ..)

افتر ثغر الشيخ عن ابتسامة و هو يقول:-

- (و كذلك... أنا أعلم يا بنى.. ولكن ما كتبه الله لنا معروف و بيّن.. والطعام ليس ذنباً و لا رجساً و لا من الكبائر ..)

- (إذن لماذا.. ممنوع ها هنا؟!...)

ناولنى قطعة من الخروف وهو يقول:-

- (خذ هذه ..)

أمسكت بها فى تردد.. إلا أننى التهمتها فى شراهة و نشوة إنه شهى فعلاً.. و بدأنا بالشروع فى الطعام...

قال لى الشيخ " فارس " و هو يلوك قطعة من اللحم:-

- (ما الذى أتى بك إلى هنا؟!).

توقفت عن تناول الطعام للحظة.. فتابع الشيخ:-

- (ما وصلنى كان غريبا ..)

هتفت فى سرعة:-

- (ما الذى أوصلك؟! ..)

أشار بيده نحوى و هو يقول فى تساؤل:-

- (إنك كنت تتشاجر مع اللاأحد.. تلكم نفسك فى عنف قاس.. ماذا أصابك؟!.. لقد كنت شاباً وسيماً هادئاً أنيقاً عندما التقيت بك فى المرة الأولى..

لماحاً.. طموحاً.. انظر إلى نفسك الآن.. إصاباتك بالغة.. لحيتك مشعثة.. متورم الأعين.. بغض النظر عن الكدمات و الأسنان المفقودة... ماذا كان يدور داخل عقلك يا فتى؟!..).

ابتسمت فى مرارة ساخرة مكملاً تناول طعامى... مغمغماً فى أسى:-

- (صراع نفسيّ مرير.. أيها الشيخ.. و حلول أخرى تحدث وغير منطقية بالمرة.. قاعدة + ١ = ٢ لا تجدى هنا... فأضنانى التعب و أرهقنى التفكير.. لا تسير الأمور هنا تحت أى نوع من أنواع المنطق المتعارف عليها.. و البديهات المسلم بها) .

التقط الشيخ قليلاً من الأرز بيده و أخذ يأكل فى هدوء و هو يقول:-

- (لا يعتمد هذا المكان على أى نوع من أنواع المنطق.. إنها مجموعة تخيلات لم تأت بخيالك يوماً.. لا أريد أن أعرف لماذا كنت تتشاجر مع نفسك... و لكن يا بنى.. أنت هنا فى أقسى مكان.. أسوأ من أسوأ كابوس رأيته يوماً فى ليلة بلا قمر ..)

و اكتسى صوته بصرامة واضحة متابعاً:-

- (إنها النهاية أيها الفتى.. و الرجل الحق... يقف صامدا صارما منتظرا نهايته كرجل.. قوى الشكيمة ثابت القلب).

- (لكن يا سيدى.. أنا هنا.. وأعلم أننى يجب أن أكون هنا.. ولكن أنا لم أحاسب أو أسأل عما فعلت... صحيح أننى لا أتذكر كل ما اقترفت من أخطاء.. ولكن ما أذكره كفيل ببقائى هنا.. إلى الأبد و لكن أنا لم أسأل.. أو أحاسب.. هذا ما يقودنى للجنون) .

تنهد الشيخ و هو يقول:-

- (إننا لسنا فى المكان الذى تعتقد أنك به).

تراجعت للوراء صائحا فى سعادة:

- (كنت أعلم أنها ليست بنار.... كنت أعلم).

أشار إليّ الشيخ بأن أهدأ ليكمل :

- (أنا لم أقل هذا يا فتى مصر ..، إنه أشبه بمكان.. بقعة ما نعيش بها منتظرين اليوم المنتظر.... مكان نعيش بـه لوهلـة.. حتـى يـتم حسابنا...عما اقترفناه من أخطاء وكبائر..) .

انعقد حاجباى على آخرهما وأصابنى الهلع لما قاله الشيخ...

ماهذا؟!....

إنها حالة جنون جماعية على ما أعتقد.

ابتسم الشيخ مشفقاً وهو يقول:

- (أعلم أن ما أقوله يبعد كل البعد عن المنطق... ولكنه الحال هنا يا بنـى والله شاهد على أن ما أقوله هو الحقيقة... وليس سواها) .

صمت قاسٍ بارد... لم تعد لدى رغبه فى التكلم....أى جنون هذا؟!...

- (أكمل طعامك يا بنى ..)

نظرت له فى بلاهة وليده المشيرة للطعام...، فقلت فى شرود :

- (فقدت شهيتى..) .

ربت " فارس " على كتفى قائلاً فى ود :

- (ما رأيك فى كوبين من الشاى ؟) .

وكان له مـا أراد... وهـا أنـا أمـسك بكـوب الـشاى الـدافئ ممتعـاً أنـاملى بدفئه... شارد

تائه...

والشيخ يسرد ويحكى...

وأنـا مغلـق لـداخل صـوت أذنـى... لا أرى سـوى ملامـح وجهـه وانفعالاته...أجرع الشاى فى تباطؤ...

هل الانتحار هو الحل؟!...
لا لن أنتحر هكذا قبل أن أفهم....
أو على الأقل أنفذ منطقى أنا.. ، أعلم أنه منطق الجميع...
ولكن هنا... منطقى أنا
ولتتناثر أشلائى المهترئة.....
ولا يعنينى هذا كثيراً....

* * *

(إنها النهاية يا فتى... والرجل الحق... يقف صامدا.. صارما ..
منتظراً النهاية كرجل قوى الشكيمة... ثابت).

* * *

إصابتى بالغة... أصبحت نصف إنسان ونصف بقايا غير صالحة للاستخدام... ومنها مناطق صعب التكيف أنها لاتعمل بالنسبة لأى رجل يحترم نفسه.... ولكن ليس هذا ما يشغلنى... أو يقلل من ترف حياتى البائسة فلا حاجة لى لاستخدامه هنا .

تداوينى " فاطمة " كما يجب بدأت أدمن عطرها.. وخطوات قدميها الصغيرتين وهى داخلة الخيمة... أشعر أننى رأيتها قبل ذلك.. بتفاصيل وجهها وضحكاتها الطفولية.

أسترد صحتى تدريجياً... وأصبحت أسير على قدمىّ أخيراً بعد أن كنت قد نسيت من كم أصبع يتكونا...

وقررت الخروج من باب الخيمة اليوم لأرى ماذا يحدث بالخارج.. داخل هذا الجحيم المغلف..

- (يا سيد " رائف " إلى أين تذهب؟!" .)

صوتها الحانى.. إنها "فاطمة"... استدرت إليها مبتسماً وأنا أقول :

- (سئمت الخيمة يا " فاطمة " وكنت أريد أن أسير قليلاً خارجها...)

ابتسمت بدورها وهى ترد:

- (أنت محق .. فقد ظللت كثيراً حتى استرددت صحتك) .

- (شكراً لك يا "فاطمة" على اعتنائك بى ..).

ابتسمت.. لا ليس الآن.. لا تصمت.... أيها البائس قل شيئاً.

ادعوها للسير قليلا...

تحدث عن روعة الجو... أو صوت الطائر الشادى الذى لم تسمعه اصلاً... فقط لا تصمت ..

أيها الوغد لماذا تضحك هكذا؟! بسماجه لزجة ..

تكلم... هيا...

و.....

- (سأنصرف يا سيد " رائف " لأطعم الحملان...)

أرأيت أنك سمج؟!...

ابتسمت وأنا أقول متلعثماً:

- (تفضلى يا "فاطمة" ..).

فانصرفت فى حياء فاستدرت فى حنق مزمجراً فى مقت:

- (غبى).

إنها صحراء.. كما يجب أن تكون.. العديد من الخيام... ثمة من تخضخُض لبن هنا.. ومن يعدو ووراءه أغنام.. هناك جمل يلوك شيئاً فى فمه بنفس النظرة التى تصاحب جدتك وهى تقرأ صحيفتها الأسبوعية.. ، تسير بلا هدى بخطوات بطيئة متلكئة...

الصحراء قاحلة.. لم تستسلم يوماً عن كونها أقل غلظة وقسوة على قاطنيها.

أعدلت من وضع الشال حول عنقى.. وأنا أعبث بحصاوى الأرض.. وسرعان مع هذه الحرباء التى تعدو فى سرعة...هنا وجدته أمامى ... يجلس على الأريكة.. وأمامه منضدة خشبية عليها كوب من المياه وعلبة من التبغ المستورد.. ورجل أسود البشرة يرتدى ملابس "السفرجية" المعهودة فى أفلام الظهيرة الأبيض والأسود قبل أن يقاطعك موجز الأنباء، يضع القهوة على المنضدة وينحنى

قائلاً فى خشوع:

- (أى خدمة تانيه سعادتك "ماجد" بك؟!) .

نظر لى متحدياً قائلاً فى ظفر مرعب:

- (شكراً يا "عصمان".. ناديلى بس " نانسى " و "جاكيناز" ..).

بضعة من الانفعالات خطت على وجهى... مع طن من الدهشة... وقليل من الغباء والارتباك... لتظهر فتاتان تسيرا فى أنوثه متعبة تحمل فى يديها مراوح من الريش .

- (ينفع يعنى البهدلة دى؟!).

عتاب ساخر متحدٍ من "ماجد"، أشعل لفافة تبغ وهو يرجع للوراء عاقداً ساقه على الأخرى ويكمل :

- (مترد يا بنى.. أنت أخرسيت ولا المفاجأة كبيرة عليك حبتين؟!).

جاءت عبارتى واهنة مبحوحة الصوت:

- (أنت جيت هنا إزاى؟!).

أطلق "ماجد" ضحكه رنانة وهو يقول:

- (ياله عيب.. دى نص النار بتاعتى..).

- (ارحل).:

نطقها الشيخ بمقت وغضب وازدراء الدنيا.. حاملاً عصاته مجتمعاً حوله بعض من الرجال الأشداء.

ارتسم شبح ابتسامة على ركن فم "ماجد" وهو يقول مرحبا ويلوح بيده:

- (إيه يا عم "فارس" ده إكرام الضيف؟! ده بدل متشويلى خروفين... ولا تنقيلى موزتين من وش القفص؟!).

ضرب الشيخ بعصاته أرضاً وهو يصيح فى غلظة:

- (ارحل.. نحن لانكرم العملاء أصحاب الأيدى الملوثة..).

- (يا شيخ دول ولاد عمنا... متخدش المواضيع كده و...

قاطعه بصيحة هادرة:

- (لقد حكم الله عليهم بأن يصبحوا بلا وطن... إنهم خائنو العهد ..).

نظر "ماجد" للسماء ثم ابتسم لإحدى الفتاتين وهو يتمتم:

- (متهوى عدل يا بت)

ثم نهض.. عاقداً يده خلف ظهره مقترباً منى فى تؤدة صائحا:

- (أنا مش فاقع المشوار ده عشان نتكلم فى الموضوع ده... ولا عشانك أصلاً).

اقترب منى أكثر وأكثر وهو يكمل :

- (أنا فى حاجة وقعت منى عندكو وجاى أخدها).

و وقف أمامى لتصطدم عينانا وهو يقول فى تحد:

- (ياله يا "رائف"...).

لم أحر جواباً.. وساد الصمت للحظات وأنا أنظر له فى عينيه مباشره بمقت لا محدود وأتساءل فى حنق :

- (أنت هنا إيه؟! ..أنت إزاى كده... بتجيب الجبروت ده منين؟!).

استدار وهو يهتف ملوحاً بيده:

– (أنا هنا كتير... مش واحد.. صعب تعرف أنا إيه ، بس أنا حسالك كام سؤال حتعرف منهم قد إيه أنت غلبان... ترس....ترس فى مكنة.. صعب تاخد بالك منها عشان أنت نملة فى علبة كبريت).

واستدار مشيرا لى متابعاً:

– (عرفت مقاسك منين.. فى اللبس والجزم؟!.. وعرفت ذوقك منين؟! أمن البوابة عرف اسمك إزاى؟!...ليه متخدتش فى الكمين؟!

مع إن اللى جنبك أبو طربوش اتاخد واتنفخ.. بتشرب سجاير من الغالى والقهوة فى إيدك زى شعر صدرك رايحة جاية معاك.... أحلى أوضة فى أنضف فندق...كل الأسئلة دى معديتش على دماغك؟! هه؟!...).

انعقد حاجباى وتسمرت فى مكانى وتجمدت أعضائى... ليهرش "ماجد" رأسه ويضيف:

– (صعبة صح؟! تاخد اختيارات؟!).

مد يده ليضعها على كتفى :

– ("رائف أبو المجد"... أنا مستنيك من أربع أفواج... مستنيك بالاسم.. من قبل حتى متتولد.. أنت اللى حتغير المكان ده وحتعمل الثورة).

كررت مبهوتاً:

– (ثورة؟!).

أطاح بلفافه تبغه وهو يرد:

– (البطل اللى حيقول لأ والناس حتسمع كلامه..الموضوع ده مترتب ومكتوب).

أنزلت يده من على كتفى وأنا أقول فى حزم :

– (وأنت مستفيد إيه؟! واشمعنا أنا؟!...)

ابتسم فى إشفاق وقال:

- (حد من عندى.. الناس تسمع كلامه ويكون فيه مقومات البطل ودراعى اليمين.. واشمعنا أنت دى كبيرة شوية على فهمك...بس ممكن تمشيها إنه قدرك.. أنت ليه "رائف" وأنا ليه أقرع؟!).

- (يعنى عايز واجهة... حد قدام كاميرة الفيلم إللى أنت بتخرجه....).

أشاح " ماجد " بيده قائلاً:

- (سميها زى ماتسميها.... بس متنساش أنا ليّا عندك خدمة).

وأضاف فى اقتضاب تفوح منه رائحة التهديد:

- (وحتعملها...).

واقترب من الشيخ مبتسماً فى وقاحة قائلاً :

- (وحتعملها... عارف ليه؟!.. عشان أنت عايز تعرف وتفهم وأنت عارف إن إجاباتك كلها عندى...جرب ولو الموضوع معجبكش روح لحالك).

ابتسم وهو ينظر للشيخ قائلاً بتبجح:

- (رحتك حلوة زى ما أنت..).

(شيطان رجيم كما عهدتك).

اقتربت سيارة سوداء فارهة ..لتتوقف بجانب الأريكة ليقول "ماجد":

- (طيب ..إحنا مضطرين نستأذن يا شيخو...

وأشار إلى "رائف":

- (يالا يا أبو الروافى.. يا بخت من زار وخفف يا جدع).

- (لن يذهب معك..).

قالها الشيخ وهو يستل سيفه من جرابه موجهاً إياه نحو "ماجد" ليلتمع نصله... تحت شمس الصحراء المقفرة...،

نظر "ماجد" لأسفل محركاً رأسه يميناً ويساراً فى أسف ثم رفعها ناظراً له فى تبرم:

- (صدقنى معنديش وقت لجو مملكة الخواتم اللى أنت عايشه ده...أنا قولتلك الموضوع كله ميخصكش).

استل بقية الرجال سيوفهم ليصوبها نحو "ماجد" والشيخ يقول بصرامة:

- (لن يتحرك من هنا عليك قتلى أولاً).

تأ تأ "ماجد"...ثم اتجه بخطوات سريعة واسعة نحو الإريكة ليجلس عليها ويصيح:

- (عصماااااااااان).

أخذ "عثمان" يهرول نحو "ماجد" حاملاً علبة ليعطيها له فى خشوع ، التقطها "ماجد" ناظراً لمحتوياتها وهو يتساءل:

- (شيكولاته.. ولا ملح؟!).

- (ملح "ماجد" بك).

تهللت أسارير "ماجد"وهو يصيح فى طفولية:

- (أحبـــك).

مخبول صرف... إنه فيشار... مخبول هذا الرجل مريض...

مريض بحق...

هنا رفع يده وأنزلها...وكأنهم ظهروا من العدم بمدافعهم ومسدساتهم التى همت بحصد أجساد الرجال بلا هوادة...

أو تردد...

وبدأ الرجال فى التفرق.. وأنا أعدو كالمجنون أبحث عن مخبأ.. تفجرت الدماء من الجمل الذى يشبه جدتك... ليطلق خواراً متألماً

يمتزج بصرخات النسوة.... وضحكات "ماجد" التى أخذت تتعالى وهو يصيح بفم ممتلئ:

- (ملـــح...)

وظهرت تلك اليد بغتها لتنغرس فى كتفى وتجذبنى للوراء...فاستدرت لأجده ضابط الكمين بردائه الأحمر وابتسامة مزهوة ترتسم على وجهه متمتما:

- (بينا يلا؟!)

وهوى بلطمة عنيفة على وجهى منحنياً ليلتقطنى على كتفه وصوت طلقات النيران يتعالى...

سئمت حصولى على جائزة الدولة التقديرية فى فقدان الوعى.

أشاهد رؤوساً تنفجر وأجسادا تتهاوى غريبة هى الرؤية بالمقلوب ..، المشهد يبتعد وصوت "ماجد" يدوى فى أذنى :

- (" شبراوى " ..خش نقلنا حرمتين من جوه... وياريت بلاش ذوق الخدمات بتاع أمك).

السيارة تقترب.. يعجبنى حذاء ضابط الكمين الذى يحملنى....

دمائى تتساقط على الأرض الرملية....

خزانة السيارة تنفتح و...

ألقى بها فى عنف متأوهاً.. وتغلق ليصبح الأسود هو اللون الوحيد ..

صوت النيران ما زال دائراً...

لن تنتهى تلك الأحداث؟!.....لقد أرهقت وأصابنى العناء....

كفى....

كفى كل هذا الهراء....

كفى دماء...

وقسوة....

صوت النيران يبتعد رويداً رويداً ليغطى عليه صوت محرك السيارة.

وداعاً أيها الشيخ الجليل....

..وداعاً يا "فاطمة"...

و وداعاً يا أنا فسأفقد الوعى قليلاً ! !.

* * *

(سنجاب أحمق الخطا...

ظل يبحث عن جوزة أطيب طعماً.. وأكبر حجماً....

طموح كبير قد هوى....

وتقلبات ذهنية وذيل خلا من الفراء....

ظل يحلم بها ويعيش على هذا الحلم.... ناسياً أنه ليس إلا مجرد سنجاب أحمق الخطا....

فى دنيا واسعة... بلا جوز كبير... .) .

* * *

لم أدر ماذا حدث...ولا كيفية حدوثه.... كل ما أستطيع تبينه أننا فى الهواء...

اصطدام عنيف أطاح بالسيارة... وكل ما أشعر به أن السيارة تدور....

و...

ترتطم بالأرض بعنف...، ياله من ألم ثمة قطع فى فروة رأسى أشعر به... وبدفء الدم المتدفق...

لم أقوَ على الحركة .. أو الخروج....

لم أقوَ ولم تعد لدى رغبة..، أميز أصواتاً بالخارج.. وأعيرة نارية.

لا أدرى لماذا تحولت ساعاتى الأخيرة لفيلم أكشن انفجارات ودماء وبارود وإزهاق أرواح.. قد أزهقت أصلا..!.

دمائى تغطى الشال.... لا الدماء تغطى شبكيتى فأصبحت حياتى بلون الدم وليس شالى وحده.

رطمة عنيفة أطاحت بغطاء حقيبة السيارة...

- (يابنى أنت بالراحه.. اللى جوه ده بنى آدم مش ٢ كيلو خيار).

- (هات أنت الخضار اللى يكيّفك... بره عنى المشوار).

أنوار تلهب عينى.. ويجذبنى أحدهم مخرجاً إياى من حقيبة السيارة المحطمة...

رؤية غير واضحة....

إضاءة خافتة... لعاب بدماء طازجة..

حتى اصطدمت عيناى - بتلك الإضاءة الخافتة... واللعاب بالدماء الطازجة - بعينه الثعبانية....

وابتسامته الماجنة المتبجحة:

- (أحلى قلق صح؟! خرشمنا أمك) .

تداخلات لونية... ألوان أخرى احتلت مكان اللون الأحمر الدامى..

- (ياله ننط فى التوك توك..)

و توك توك افترشت مقعده الخلفى....

وتعالى صوت المذياع بصوت رخيم:

- (مغلوب وغالب...

الصورة تتشابك...

- (هات سوجاره).

- (ياله ما أنت لسه طافيها ..هو لب؟!).

شجار على لفافة تبغ؟! ..هذا ما كان ينقصنى....

- (سهله يا صحبى.. أما أوصل أفرط من عم " فانوس " ..).

- (أنت رجعت تطرقع تانى يا ابن المفكوكة؟!!).

- (وكتاب الله مدقته).

- (يرووح ويندااس... الدنيااا موولد).

- (وقولتله الحاجة قلة ومقصوص ربعها... قعد يحلف ويقولى والحرام من بيتى وعملى حواار).

- (امسك عامود نيكوتين أهو... أنا مش نتن زي أمك).

لكم تمنيت أن ينقلب التوك توك ..

أو يسقط أحدهما.... أو أسقط أنا...

- (عشقى فى رحمة ربك فى الملكووت).

- (البت " إسلام " السكرتيرة عايزاه بالعرض... بس شكلها سكة ارتباط... وبحبك.. ودباديب فى الفلانتيم.. واما نتجوز بقى)،

- (بصراحة حقها.. البت دبابة).

الدوار والصداع يكتنف رأسى ..داخل هذا الاختراع الذى لم أهضمه يوماً أو أشعر نحوه بالاحترام...

- (وسهر الغلاباا يا ليل ..).

- (أنت بنجت الخروف اللى معانا ده؟!)

- (سقطت ..نيت.. بس سهلة)

.. وبدأت تلك الرائحة النفاذة تغزو أنفى...

لا أشعر بها تصعد درج مخى... وتعبث برتاج بابه وتهم بإطفاء أنوار شقة مخى...

- (جددت رخصة المكنة اللى معايا إمبارح...)

- (يا رااجل؟!.. فين؟!).

- (فى مرور " ولعه السبع"... أقولك؟!.. هارش البنزيمة إللى بطلع على ميدان "جمرة"؟!.. بنزيمه الجاز ياله).

- (اللى راح راح يا قلبى... وشكوتك لله..).

- (أنا قولتله وهو.....)

- (وشكوتك لله....).

- (الواد ده مش تمام على فكره....)

وشدت الرائحة النفاذة كما يسمونها سكينة الكهرباء...

سكينة الكهرباء...

الخاصة بعقلى...

* * *

(٧) الـــدار.

مفكره رقم (٥) :

لماذا تلقى النساء دائماً بخزين البصل فى الشارع؟!

(منذ بدء الانتفاضة، واجه عسكر الاحتلال التظاهرات التى قام بها أبناء البلاد بقنابل الغاز المسيل للدموع بغرض تفريق تلك التظاهرات .

ويطلق العسكر قنابلهم من مسافات بعيدة.. ويسبب هذا الغاز لمن يستنشقه احتقاناً شديداً فى الأنف

والعينين والفم.. وانهمار الدموع بغزارة وعدم القدرة على بقاء العينين مفتوحتين.

وبالتجربة الطويلة، اكتشف أهل الانتفاضة وسيلة ناجحة يبطلون بها تأثير الغاز عليهم، وذلك بكسر

بصلة، ووضع قطع منها فى فتحتى الأنف عند انطلاق الغاز .

ولهذا لم يعد مستغرباً أن تنفتح شبابيك البيوت بمجرد ظهور عسكر الغاز... ثم ينهمر منها البصل على

رؤوس المتظاهرين).

محيى الدين اللباد.

سلسلة (الرماة الصغار).

(٣٠ سؤالاً).

* * *

استعدت وعيى... أظنك اعتدت على ذلك...

اعتدت على هذا الأخرق الذى يفقد وعيه أكثر من دخوله ليتبول...

ونقمت على كونك... راهنت على قضيه خاسرة غير محددة المعالم تائهة الخيوط متشابكة متعفنة الرائحة....

قضيتى...

وليست سوى قضيتى.

- (إيه يا عم؟! يومين نايم؟!).

استجمعت قوتى لأنهض بصعوبة... ناظراً حولى..،غرفة متهالكة تكتظ بالكتب... كتب فى كل مكان....

- (أنت يا عم).

نظرت له لتتحفز ملامحى.... إنه هو الماجن صاحب عينى الثعبان...، ابتسم فى ود غير مصدق.. وغير ملائم لتلك الملامح

التى حفر عليها علامات القسوة والمجون والتبجح وهو يقول:

- (اهدى يا عم... إحنا كلنا فى مركب واحدة...)

وأخرج علبة سجائر مهترئة ضارباً على مقدمتها لتخرج لفافة يناولنى إياها وهو يتابع :

- (سجارة " نفرتيتى "؟!!).

أنا بالفعل أحتاج قليلاً من النيكوتين...،التقطها فى تهالك ليخرج ثقاباً ويشعل عوداً مقرباً إياه...

- (أنا "وائل"..)

- (وأنا...)

قاطعنى بوقاحة:

- (عارف... مش محتاج تعرفنى بنفسك... إنت أمل كل واحد هنا....).

لم أفهم ..سعلت... وسعلت ،، تلك السجارة ممتلئة بالخشب ،،،، يهابها أى جهاز تنفسى..

- (معلش.. الأحوال المادية مش ولا بد..بعد بكره جايلى خرطوشتين سجاير... من تحت... بس إيه حاجة احترامات)-

(تحت فين؟!).

تساءلت فى غباء... تحت أين؟!..، ابتسم "وائل" وهو يشعل واحدة "نفرتيتى" ويستطرد:

- (تحت.. مكان مجيت.. فى أربع أنفاق تحت الأرض.. بيجلنا منها الحاجة سوق سودة.. ليك علبة يا عم علبة مسا منى...).

هممت بدفن بقايا سيجارتى الخشبية فى مطفأة عبارة عن زجاجة بلاستيكية تم اقتطاعها لتصبح مطفأة.

أخرج "وائل" شيئاً لم أتبينه من جيبه.. وألقاه فى جوفه وتناول زجاجة مياه... ليجرع منها فى عبث لتسيل المياه على ملابسه...

- (صباحك شريف) ،

جاءتنى العبارة من خلفى....

- (عمى الكبير).

صاح بها"وائل"... فاستدرت...، كان نحيلا... نحول حظك فى الدنيا....

يرتدى عوينات تحتل معظم وجهه.. ودب خيط الشيب فى رأسه...، خرج علينا من باب خشبي عتيق وهو يقترب منى جالساً على

المقعد الذى بجانبى..ناظراً لـ- "وائل" وهو يقول:

- (قول لـ "منيرة" على القهوة وخليها تعملها من البن بتاعى..).

نهض "وائل" فى حيوية وهو يهتف:

- (أوامرك يا رياسة).

اكتسى وجهه النحيل بصرامة مباغتة وهو يقول:

- (وعلى فكرة لو شفتك بتضرب المدعوق ده تانى.. حعلقك على باب الدار.. فاهم؟!)

نظر "وائل" لأسفل فى خشوع وحياء.. ليتابع النحيل :

- (ماله الحشيش ياله؟! انضف واحسن من الزفت اللى بتبلبعه ده.. غور ياله هات القهوة).

خرج من الغرفة بسرعة غير مصدق أنه نجا.. واضح أن النحيل ذو شأن هنا.. فى هذا المكان المسمى بالدار... ثانياً هذا النحيل يقدر الحشيش كاختراع ..

ألقى النحيل بلفافة تبغ " فاير أحمر" فى فمه وأشعلها لينفث دخانها فى هدوء ناظراً لتلك الأرفف التى تحمل أطنانا من الكتب

حتى قرر الحديث:

- (بقالك هنا ٢٢ يوم... من ساعة ماجيت هنا عمال تلف حوالين نفسك.. وتاخد فى مطبات...)

زويت ما بين حاجبىّ ولم أرد ليكمل :

- (بص أنت غير أى حد... وكلنا هنا عارفين كده ومصدقين... إحنا مستنينك بقالنا أربع أفواج... صابرين.. وبنرتب... ومستحملين.. المشكلة كلها إن أى صبر ليه حدود وآخر.. وإحنا أجدع ناس تصبر...).

صمت ملتقطاً نفساً عميقاً من لفافته ..ناظراً لى وهو يكمل :

- (كل الكتب إللى أنت شايفها دى... أنا اللى ناشرها.. تفتكر لو كان كل إللى هنا قروا الكتب دى كان ده بقى حالهم ..؟! مش فاضين.. ولا واخدين بالهم.. إن تاريخهم اتشوه وراحت معالمه... مع إن لو حد دخل جوه التاريخ

وركزت شويه وخدت واديت معاه حتفهم وتعرف إنها دايرة مقفولة.. كل حاجة بتتعاد باختلاف الأسماء والتواريخ والأماكن).

دلفت "منيرة" بعد عدة طرقات منتظمة... وهى تحمل القهوة... سمراء كانت ترتدى حجاباً وطناً من الشحوم.. ذات مؤخرة كبيرة .

وضعت القهوة... وخرجت ليدس النحيل يده فى سترته مخرجا علبة "فاير أحمر" ليلقيها نحوى... فالتقطها وهو يقول :

– (خد أنا عارف إنك بتحبها..).

وأكمل :

– (آه نسيت أعرفك بنفسى... أنا " السيد هاشم " ناشر... ودى دار النشر بتاعتى).

ومد يده فى حميمية واحترام.. فمددت يدى مصافحاً إياه وأنا أقول بدورى:

– (تشرفنا... أنا.. رائ– ... متهيألى إن حضرتك تعرفنى ..)

ابتسم " السيد هاشم " وهو يقول فى ود :

– (أعرفك أكتر متعرف نفسك... ومستنيك على نار...)

وأضاف فى أمل :

– (كلنا مستنينك ..)

قالها بانفعال وبرقت عيناه.. أشعر بالأخيار حين أقابلهم...

ولكن لتتذكر لقد خدعك " ماجد"... وأفقدك الثقة حتى فى شعر مؤخرتك.. وأصبحت تشك فى ملكة حكمك على من أمامك...

– (أنا حعرض عليك الموضوع يا "رائف" وقدر أنت وشوف إللى حيريحك..)

أخذت نفساً عميقاً وأنا أقول فى سرعة:

- (ياريت نفسى أفهم... أفهم أى حاجة).

- (الموضوع يا " رائف " ببساطة بيتلخص فى بروتوكولات.. واتفاقيات... هى اللى خلتنا كده...نعيش زى البقر...وناخد بالصرمة..

بقيت العيشة هنا سباق.. و سلسلة من التحديات.. لازم تلحق المواصلات.... علشان تلحق شغلك... علشان تلحق مرتبك إللى أصلاً مبيلحقش يلحقك لحد يوم ١٠.. فبتريح العصر عشان تلحق الشغل بتاع بليل إللى بيكملك بقية الشهر فمبتبقاش فاضى تاخد بالك من أى حاجة... غير كده).

- (غريب إن المتطق ده إنه يمشى هنا... مع ناس أصلاً ميتين... وخدوا حظهم أصلاً من حياتهم...).

- (عارف بس زى ما قولتلك اتفاقيات.. وخيوط متشابكة صعب إنك تمشى ورا أى واحد منها... اتفاقيات النخبة... صفوة الصفوة العشرة فى المية).

تساءلت فى حدة :

- (" ماجد " ماجد منهم؟!).

أجاب :

- (لا... "ماجد" ده زى السكرتير... المسلكاتى.... مفيش حاجة بتقف قصاده... منعرفلوش ملة... وصدقنى الراجل ده مكانه لازم يكون هنا... ده أصلاً موطنه الأصلى).

شردت لحظات ثم قلت متسائلاً فى توتر:

- (أنا وجودى هنا خطر عليكم صح؟!).

نهض "السيد هاشم" متجهاً إلى مكتب عتيق ودس يده بأحد أدراجه ليلتقط ورقة مطوية ويمررها لى.. التقطها ملتهماً محتوياتها....

و... يا إلهى....

إنه أنا...
أنظر لى بنظرة ثابتة واثقة...

((نحو نار أفضل... تعقد مناظرة لمرشحها "رائف أبو المجد" : من الممكن أن نعيش... فقط نعيش... باحترام وآدمية.... هذا ما أريده لى ولكم ..))
"رائف أبو المجد" .

إنها حملة دعاية ضخمة...
ضخمة إلى حد مخيف... قال "السيد هاشم":
- (الورقة دى واحدة من وسط ملايين).
صحت فى توتر:
- (طب إيه الهدف؟! أنا مخى ورم).
- (أنا أقولك...ناس كفرانة.. تاخدها تحت باطك وتديهم ربع حقهم كأنك جبته من بُق الأسد؟! ولا تسبهم يأكلوا فى بعض.. لحد ما يجى اليوم ويجى الدور عليك؟!).
تصاعدت الدماء إلى رأسى.. أى تفكير هذا؟!
- (وإحنا غلابة... وبنصدق...عمالين نلف فى دواير جوه دواير جوه دواير لحد متبقى أصلاً متعرفش فين دايرتك الأساسية وميـنفعش تقف فبتلف ،،، بتلف وخلاص.. يا تقول لأ وتقف عشان تفهم.. وتروح زى " روحية" والشيخ "فارس" ..).
نار منقسمة الألسنة.. حارقة.. تحولت فيها من كونى فرداً أجرع قهوتى. أبحث عن سراب.. لبطل يحمل فى يده مصائر بشر لا يعرفهم حتى.. لا أقتنع

بكون كل هذا يحدث... سواء كانت ناراً أو لا... ماذا لو نهضت حالاً واتجهت بخطوات سريعة إلى غرفتى رقم ٧٠٧ قافلاً باب الغرفة برتاج لا يخترق..؟!.

ماذا لو نهضت حالاً واتجهت إلى تلك الشرفة.. وقفزت منها.. منهياً كل هذا الهراء.

- (أنا عارف إن الموضوع صعب.. بس فكر إنت عايز إيه وناوى على إيه).

لفظها "هاشم" ونهض ملتقطاً مجموعة من الكتب التى تجدها ها هنا فى كل مكان حولك وهو يكمل :

- (أنت مش مجبر.. بس الواحد مننا أكيد بيحس بالرضا لما يغير الواقع... تقدر تمشى أو تقعد صحيح إننا مستنينك من زمن... بس محدش بيدافع عن قضية هو أصلاً مش مقتنع بيها ومبتخدمش معتقداته وقناعاته الشخصية).

وخرج من الحجرة تاركاً إياى وسط برميل من الحيرة...

والتوتر....

والقلق....

والكتب...

لكم أحقد عليك... أنت تقرأ تلك السطور وقتما تشاء وتمتنع عنها وقتما تشاء ولتجرع قهوتك أو لتقف فى شرفة منزلك تتابع "غادة" وهى ترتدى شورتها الساخن... وتقوم برص ثيابها الداخلية المبتلة على حبال الشرفة ويظهر من ثدييها أكثر مما يختفى ..أو حتى لتقوم بلف سيجارتك المحشوة العرفية....

فكر فى كلمتك اليومية على صفحتك على الفيس بوك... التى تحاول بها أن تكون سخراً لتحصد المعجبين بقولك التافه...، كن من المشاركين فى صفحة محبى صدر المطربة(.....) أو مؤخرة الفنانة(.....)...،

أرأيت كم أنت مرفهة؟!

ألا تسمع صوت الغلاية؟!... إنها تعلن عن إنهاء مهمتها... هيا....

هيا... فنسكافيه البندق المطعم بالشيكولاته البيضاء ينتظرك... هيا...

هيا أيها الوغد المرفهة....

* * *

(لقد حلم الكثيرون بأن تحوى الحياة على زر(**undo**) كما فى برامج الكمبيوتر ليصحح أخطاءك....

فلماذا فضلت كلية الآداب على كلية الصيدلة؟!...

لماذا فضلت "غادة" على "لمياء"؟!.....

لماذا التهمت السبانخ بدلاً من البازلاء؟!...

ليتك اخترت العكس منذ البداية.....).

أحمد خالد توفيق ..

* * *

قال "وائل" وهو يحمص لفافة التبغ بقداحته السخان :

– (ولاكانت تفرق معايا أصلاً... مين راح فين... ومين باع إيه لمين...

طالما الحشحش جنب ورقتين البفرة إللى بلزق جوه سوستة محفظتى الجلد البرانية... مات الكلام.....).

وصمت وهو يفرغ محتويات اللفافة من تبغها ،،، ويفرك عليها الاختراع الأزلى البنى اللون.. على التبغ المُحمص ويتجشأ...

ويهرول النسيم العليل ساخناً بين خصلات شعرى الموج.. وأنا أراقب المكان حولى....إنه أشبه بكوبرى... نعم.. يمتد إلى نقطة ما ثم لا شىء...فراغ هائل شاسع ..ليكتمل بعدها الكوبرى .

يبدو أن ثمه قذيفة قد شطرت هذا الكوبرى من المنتصف مخلفة تلك الهوة السحيقة فى المنتصف و.....

- (أمسك يا عمنا).

نظرت للفافة المكتنزة وأنا أقول فى تردد :

- (متعفينى يا "وائل" ..).

لتر من اللعاب تطاير من فمه وهو يصيح :

- (والله ميحصل..).

التقطه فى حذر وهو يستطرد موبخاً :

- (فى إيه يا عم؟! ده جوان ماركة "وائل" البرنجى).

لن أطيل عليك... أشعلته.. وها هو الدخان يرتطم بردهة صدرى و"وائل" يتابع:

- (حتى يوم لما اتغزيت فى رقبتى.. مشغلنيش ساعتها إنها تسيب علامة ولا لأ.. كل اللى شغلنى إنها تسيب علامة بس تسيبنى أكمل.. بس يا خسارة، كان آخر الخط... كخ خ خ خ خ..).

كتم دخان لفافته ليحتقن وجهه لثانيتين ويطلق صراحة .

طيورا لا أدرى سلالتها... ولا نوعها... تحلق من بعيد.. كان المشهد مهيباً كوبرى بهذا الارتفاع أجلس فوقه ناظراً لتلك الهوة فى المنتصف.. وبيدى لفافة عرفية يدوية الصنع...

- (عجبك الفيوز صح؟!).

فهمت ما يعنيه.. فأشرت برأسى أن نعم... فتقمص دور المرشد السياحى وهو يشير حوله صائحا:

- (ده كوبرى " القصر المولع " أتلغى من مدة كبيرة.. انضرب من نصة عشان كان بيطلع على الملهبة عدل كخ خ خ خ..).

أشعر بتنميل حفيف فى رأسى فتابع "وائل" ناظراً للفافته فى إعجاب مزهو :

- (عيب ده من الغالى... "وائل" ميجبش فيشل).

تعالت ضحكاته وتردد صداها...

لم أدر لماذا يضحك.... أو على ماذا؟!...

ولكنى ضحكت...

وضحكت...

وضحكت... ضحك...

وضحكت...

ثم ضحك....

فضحكت...

ليضحك...

وأضحك...

ونهض رافعاً يده للسماء البرتقالية وهو يصرخ فى هستيريا :

- (أنا بضحك... وحضحك...

وسقط أرضا ولم يتوقف عن ضحكاته... فقولت فى هدوء:

- (اما شوفتك يوم ما بعت الخشيش للواد ده.. حسيتك شر عينك فيها شر عجيب مع انك مش كده).

اعتدل "وائل" فى سرعة وهو يصيح فى قلق :

- (عمنا... اوعى استاذ " هاشم " يعرف حاجة عن الحوار ده حيتقطع عيشي.... انا بعمل كده عشان احسن دخلي... والشر اللى بيطلع من عينى هو اكل عيشي... ساعات اما يبقى فيه خناقة كبيرة... وعارف انك لو دخلت بجد حتطحن.. وتاكل ضرب ابن وسخة... فا بتحور للموضوع).

- (بمعنى؟!).

- (بمعنى انك تختار الناس اللى معاك اللى اشكلها تخوف.. وتوقفهم جنبك ومتخليهومش يتكلموا... عشان يقلق اللى قدامك... المكان ده بقى عايز كده.. خوف اللى قدامك منك وخليه يعيش الخيال مع نفسه ويشوفك عورت ميت حد فى ميت خناقة انت مدخلتهاش أصلا... ويحقد عليك عشان نمت مع ميت بنت بميت وضع انت ما نمتش معاهم اصلا... فاهم أنا بحكى فى إيه ؟).

ابتسمت وأنا أقول :

- (فاهم يا صديقى..).

و نهضت بدورى مترنحاً فقال :

- (تعالا نرجع الدار يا عمنا أنا جعان فحت).

وافقته وبدأنا فى السير عائدين للدار سابرين أغوار تلك الأسلاك الشائكة ناظرين لتلك اللافتة التى رسم عليها نفس الجمجمة الأثيرة حاملة كلمة خطر.، يبدو أنها عادة لا تتغير فى أى عالم... أو أى مكان .

وهنا لفت نظرى تلك المساحة الخضراء بجانب الدار... فتوقفت للحظة. ، ارتطام أحدث ضجة... كان "وائل" مصدرها... فها هو متكوم كالجوال أرضاً يضحك فى عبثية وهو يصيح :

- ("وائل" عمره ميجيب فيشل...).

ابتسمت بدورى وأنا أقول متسائلاً:

- (هى إيه الأرض دى يا وائل؟!).

حاول النهوض إلا أنه فشل....

فحاول النهوض ففشل..

أمسكت بيده مساعداً إياه على النهوض وهو يقول:

- (بصل) .

أخذ "وائل" ينفض الأتربة من ملابسه وأنا أتساءل :

- (إيه هو اللى بصل.؟!) .

- (الأرض دى مزروعة بصل).

لم أفهم... وهو لم يهتم بالتوضيح أكثر... اكتفى بفتح باب الدار... فتبعته فى استسلام.. سائرين عبر ممر طويل.. امتلأ بالصناديق المغلقة التى خط عليها بخط واضح مقروء ..(خل) .

صعدنا الدرج مترنحين... و "وائل" يغنى.. كان عذب الصوت وصمت بغتة... فرفعت عينى.. كان " السيد هاشم " يقف عاقداً يده خلف ظهره وقوراً صامتاً ..حازماً...

- (صباحك ورد يا ريس).

ألقاها "وائل" واختفى داخل الردهة.. ليبتسم لى "السيد هاشم " بهدوء وهو يتنهد قائلاً:

- ("ماجد" قالب عليك الدنيا ..)

انقبض صدرى.. وتوترت ملامحى و"هاشم " يكمل :

- (أياً كان رأيك.. أو قرارك ، ، فياريت تاخده بسرعة).

واستدار منصرفاً...

لن أكذب عليك... لا أدرى ماذا أفعل؟!..

لم أعتد أن أكون مطالباً بشيء كهذا..

ولم أكون صورة لما سوف أقوم به...

ولكن ما أعلمه ،،، أننى منذ جئت إلى هنا... كنت متفرجاً صالحاً... ومستقبلاً جيداً فلمَ لا أضع قواعدى أنا...؟!

وألعب بطريقتى سواء كانت خطأ أو صوابا؟!

ولتكن نهاية....

مبتكرة...

مشوقة...

* * *

اصطدم الهواء بوجهى... كانت سرعتنا تتجاوز المائة.... نمخر عباب الطريق متجاوزين السيارات والجمال من حولنا بمهارة وسرعة و"وائل" يصرخ:

- (أنت عارف أنت بتعمل إيه؟!) .

لم أرد ظللت متشبثاً به وهو يسير بتلك الدراجة النارية كالقذيفة فقال:

- (ياريت تكون عارف... عشان لو مكنتش عارف تبقى مصيبة ..).

.. إنها تلوح من بعيد.. شعرت ببعض التوجس.. وتخللت جسدى قشعريرة باردة...واللافتة تقترب...

أبطأ "وائل" من سرعته... واستدار.. ضاغطا مكابح الدراجة النارية لتتوقف أمام اللافتة مباشرة....اللافتة التى خط عليها...

((مقهى آخر ساعة يرحب بالزوار)).

ترجلت من فوق الدراجة... وأنا أنظر لـ "وائل" هادئاً و تفوح من عينه نظرة قلقة وهو يقول :

- (إنت عارف صح؟!).

لم أرد بل ظللت أرمقه بثبات فكرر فى يأس ومرارة:

- (عاارف؟!)

ابتسمت فى ود وأنا أربت على كتفه لأقول:

- (حشوفك قريب يا صحبى...)

وتابعت فى جدية مصطنعة:

- ("وائل" عمره ميجيب فيشل).

لانت ملامح "وائل" وصافحته مستديراً وأنا اتجه إلى المقهى.. بخطوات ثابتة واسعة...لأسمع صوت محرك الدراجة وهو يبتعد .

أنا أدرى بما سأفعله... سأجلس هنا هكذا...

وأطلب قهوتى الدوبل... هكذا...

وهو من سيجدنى...

أشعل لفافتى من الفاير الأحمر وأجرع كوب قهوتى هكذا و....

- (أنت دايماً تاعبنى...)

أتانى الصوت من جانبى ..فابتسمت فى ظفر وأنا أنظر له قائلاً فى تحدٍ:

- (إنت عارف الشباب... عبال مبيفهم... ويعرف مصلحته فين بيكون بوظ الدنيا... بس المهم إنى عرفت وهنا...).

تمتم "ماجد" فى مرح :

- (والله تستاهل أستناك كل ده.... ليك وحشة ياض).

- (بالمناسبة... حلوة صورة الفلاير إللى أنا طالع فيه... عايزها على كبير ..).

ضحك " ماجد" معدلاً من وضع عويناته صائحاً:

- (عينيّ ليك...أنا تحت إيدى شوية فوتوشبجية قرود...)

تمتمت فى حنق:

- (أنت تحت إيدك كل حاجة).

- (و استاهل... وتعبت عبال معملت ده..).

اكتسى وجهة بجدية عارمة وهو يقول:

- (المهم.. خلص قهوتك وتعال نطلع فوق عشان نقول الكلمتين).

نهضت وأنا أقول:

- (لا أشرب واحدة تانية فوق)

- (أحبك وأنت مستعد).

وبالفعل.... اتجهنا إلى الفندق.. متجهاً إلى غرفتى... الحجرة كما هى لم ترتب أو تنظف.. كأننى أنا الزبون الدائم لها.

فتح "ماجد" النافذة وجلس أمامى مباشرة....

كم أمقتك....

وأمقت وجهك القبيح.... وأمقت ذلك اليوم الذى رأيتك به...

- (زى ما أنت شفت كمية الدعاية إللى أنا عاملها... عشان سعادتك... ده مشروع عمرى...يا "رائف"... البطل الأوحد..إللى كلمته حتبقى مسموعة عن حب واحترام مش عن خوف ..)

ابتسمت فى اشمئزاز وأنا أقول :

- (اللى يشوفك كده ميشفكش وأنت بتاكل الفيشار وسط المجزرة ..).

قهقه "ماجد" هارشاً صلعته ويقول:

- (أكل العيش بقى... هو اللى عمل فى نفسه كده... دماغه حجر ..).

- (كان قصده إيه بخائنى العهد؟!).

أشاح "ماجد " بوجهه مغمغماً:

- (ده موضوع قديم ..).

قلت مصراً:

- (من حقى أعرف...طالما حبقى عضلاتك.. يبقى لازم أعرف... وأعرف كل حاجة).

توتر لا أنكر... ظننت أنه لن ينطق ..إلا أنه اعتدل فى جلسته.. وزفر زفرة حارة ولوح بيده فى عصبية لبقول:

- (قصده اليهود.. بنى صهيون).

أجفلت وهو يكمل فى بطء متردد:

- (كانوا عاملين دوشة ومشاكل..وصوتهم عالى على طول.. فخدنا قرار إننا نحطهم كلهم فى مكان واحد... عشان نخلص من وجع الدماغ..).

اتسعت عيناى وأنا أقول محتديا:

- (وطن ليهم؟!).

هرش ذقنه وقال فى تخازل :

- (سميناه منفى ..) .

رددت مبهوتاً:

- (منفى؟!).

- (آه منفى.. ميخرجوش منه... ومحدش يدخلهم جواه..).

غضب بيّن حفر على مسام وجهى.. و"ماجد" يكمل :

- (بس بصراحة الموضوع وسع مننا شويه..).

- (إزاى؟!).

- (يعنى.. الموضوع انقلب من منفى... لفندق ٧ نجوم... مفيش مواطن يهودى يعيش من غير تكييف فى شقته... وبياكلوا أحسن أكل و...

قاطعته مدهوشاً:

- (ياكلوا؟!).

صاح ماجد فى حنق وتبجح:

- (آه ياكلوا.. هما منفصلين تماماً عننا.. وبعدين ياكلوا ولا إياكش يولعوا فى بعض... أنا مالي؟!..).

صمت.. وهو صمت لم أشأ أن أتحدث بعدما سمعته... كنت محتاجا أن أهضم ما قيل...، فنهض وهو يقول:

- (ريح أنت بقى عشان بكره يوم طويل).

واتجه إلى الباب وهو يبتسم ابتسامة شيطانية شريرة :

- (أنا محضرلك مفاجأة.. عشان تطرى على قلبك حبتين ..).

نظرت له متسائلاً حتى ظهرت...

ظهرت...

وظهر معها عطرها...

سحقاً...

إنها "فاطمة"...، نظرت لى فى انكسار وخنوع متألم... و"ماجد" يتابع:

- (أى خدمة... عيش بقى يا بطل ..)

وأغلق الباب وسط ضحكاته اللزجة...

تبادلنا النظرات ..

لم ندر ماذا نقول؟!...فقط نقترب من بعضنا البعض فى تردد...وهنا أجهشت بالبكاء وارتمت فى صدرى.. لتدفن وجهها به وتنسال دموعها...

.. أيتها المسكينة...ماذا فعل بك هذا السادى؟!..

احتضنتها بدورى... وبكائها يتعالى... لقد أوحشتنى.. لا أنكر ..

فعطرها ذكرنى بذكريات هادئة حلوة المذاق...

لا تتحاذق... لن أفعلها...تعلم ماذا أقصد...

لن أمارس معها الجنس... فأنا لست كلباً بلدياً أجرب الفراء ..أو حتى دكر بط.. بغض النظر عن كون تلك المنطقة عندى قد تحتاج إعادة تأهيل...،

سأكتفى بأنها هنا... بحضنى... ورائحة عطرها تتسلل لأنفى..

- (لا تتركنى...).

قالتها بصوت متهتك مرتعدة الفرائس تمسك بتلابيبى... احتضنتها أكثر وربت على كتفها فى حنو... ناظراً لعينيها...

لقد عانت تلك الفتاة بحق...

لا أدرى ماحدث معها...

أو كم من حفلة جنس جماعى قد أقيمت على شرفها...

ولكنْ عيناها كانت مخيفة...

مخيفة من كمية اللوعة والحزن... والخوف الذى بها ،

قلت فى صرامة:

- (فاطمة.. انظرى لى ..)

نظرت لى أكثر فمسحت دموعها بيدى وأنا أنظر لعينيها مباشرة وأكمل فى حزم :

- (أقسم بروح الشيخ " فارس " أننى سأنتقم...)

وأضفت بوحشية :

- (انتقام كالجحيم ..).

...

نامت كطفل...

وجه ملائكي تمتلكه تلك الفتاة...

سأتصرف...

سأسقط هذا الزنيم

... وأنتقم منه

وأجعله يندم على انتظارى...

* * *

(٨) فلتضاجعنى إذا أردت!.

** مفكره رقم (٧):*

(بقيت حاوى...

بقيت غاوى فى عز الجرح أنا مبكيش...

بقيت عارف أطلع من ضلوع الفقر لقمة عيش....

بقيت قادر أدارى الدمعة جوايا مبينهاش.....

بقيت راضى أنام رجليا مقلوبة كما الخفاش.....) .

فرقة "مسار إجبارى" ..

* * *

هبطت بتؤدة...

وهو ورائى.....

أرتدى حلة سوداء بربطة عنق حمراء....

وهو ورائى...

شعرى قد تم تصفيفه على يد مصفف محترف ذاع صيته هنا...، ذقنى قد تم تهذيبها.. لتكسبنى القليل من الوقار والجدية

وصوت "ماجد" يأتينى متهكماً:

- (إخص.. طلعت فى الآخر بتاع أحضان بس؟! يا خسارة الكامرتين اللى ركبتهم ورا المرايا).

.. كان حشداً مهيباً...

يقف وينتظرنى... فلم أميز سوى رؤوس.....لا سيارات.... لا أسفلت ..

مجرد رؤوس وسيارات مدرعة حمراء اللون... ورجال شرطة بردائهم الأحمر.

صعدت درج المسرح المعد خصيصاً لهذا الحدث.... وصورة كبيرة تتدلى من إحدى البنايات لى...

لثوان خيل لى أننى لن أستطيع مواجهة كل هذا الكم من البشر... ومواجهة أطنان من الشقاء والتعاسة.. والفقر المدقع...،

توقفت وبدأ التصفيق.... تصفيق حاد.... وحناجر تهتف باسمى... و"ماجد" يقف عاقداً يده خلف ظهره.. وابتسامة النشوى و النصر ترتسم على فِيه....، أنظر لتلك الجموع فى توتر... هناك وجوه أعرفها... و وجوه أخرى لا...

ولكنى أشعر ببريق من الأمل يلتمع فى أعينهم... و وجوه أخرى جامدة... لاتحمل أى تعبير... مجرد حناجر تهتف وكفى .

أمسك "ماجد" بمكبر الصوت قائلاً برصانة وصوت رخيم زاد من رهبة الموقف:

- (أتشرف بتقديم.. البطل... البطل اللى حيقف ويقول لأ فى وش أى ظلم... أو قمع ..البطل...)

وأشار نحوى مضيفا:

- (رائف... رائف أبو المجد،،،).

تعالى التصفيق... تصفيق يصم الآذان... اقتربت من مكبر الصوت... ليقترب منى "ماجد" معطياً إياى ورقاً خط عليه خطبتى ..

وهو يهمس:

- (ياله يا بطل).

ابتسمت له ملتقطاً الأوراق وأنا أقول كما هو مكتوب :

- (السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات.... يا شعب أضناه التعب.... معاً سنفعل المستحيل لعيش حياة.... حياة يجب أن نعيشها كآدميين ..) .

صوتى كان يرج المكان... والصمت مع رنين صوتى كان مهيباً...

- (لقد تخطينا سوياً... ومع حزب نحو نار أفضل... العديد من التحديات و...)

ابتسمت وأنا أكمل :

- (والإنجازات...)

وابتسمت... ثم صمت ناظراً لهم فى هدوء...ملقياً الورق من يدى... ليتطاير فى الهواء.. وسط همهمة الجميع... وساد الهرج.. وانعقد حاجبا " ماجد " وأنا أتابع:

- (معذرة... لا حاجة لى لورق... كى أتحدث مع ناس عشت معها... ولمست معاناتها... على الرغم من أننى لم يمر على وجودى هنا سوى ٢٥ يوماً... واليوم هو يومى ال- ٢٥ من ميلادى هنا.... لن أطيل... فأنا أشعر من ما خط فى هذا الورق أنكم سئمتم هذا الكلام ...كلام عام غير حازم... سمعتموه...كما تسمعون آلات التنبيه... أو صوت فوران قهوتكم...، أنا اليوم هنا لأسألكم إلى متى ستبقون هكذا؟! صامتين... غير مبالين... إلى متى؟!... من أدراكم أننى لست سوى كاذب منافق يجيد الغناء؟! من أدراكم أننى سأقف بجانبكم؟!) .

تحفز "ماجد" واقترب منى وأنا أتابع بهدوء:

- (أنا لا أطلب أن تثقوا فى شخص لم تروه إلا اليوم.. ولكننى أطلب المشاهدة.. والصبر.. لنعقد اتفاقاً سوياً... إننى بشر... وقابل للنصيحة... وقابل للمناقشة... لن أطلب ثقتكم.. إلا عندما تشعرون أنه قد حان الوقت لإعطائها لى..) .

تصفيق وعبارات مؤيدة و "ماجد" يهمس:

- (يا ابن الجنية).

ابتسمت مشيراً لهم بالهدوء وأنا أكمل بجدية :

- (لانريد شعارات... أو ننتظر لأحد ليساعدنا... نحن سنساعد أنفسنا... ونحن فقط... بعيداً عن أى تكتلات.. أو أحزاب... أو رسميات.. ولتذهب الأحزاب للجحيم... طالما نحن لا نشعر بأى تحسن ..)

قلتها... وشددت تلك اللافتة التى احتلتها صورة شعار نحو نار أفضل، مشيراً إلى "ماجد" وأنا أصرخ :

- (فلتضاجعنى لو أردت... ولكنى .."

وهنا وثبت... نعم وثبت من فوق المنصة... لأهبط وسط الحشود مشيراً ل- "ماجد"، مُضيفاً فى صرامة :

- (لن أكون معك... لقد اخترت هؤلاء... فأنا أنتمى لهم ..).

- (ارحل).

أتت من بعيد... فالتفتت الجموع نحو الصوت...

لا قل غير هذا..

إنه الشيخ " فارس " ومعه مجموعة من الرجال الأشداء... مضمضا.. وممتلئا بالأربطة صائحاً:

- (ارحل.. يا عميل اليهود..)

.. صحت:

- (ارحل).

- (ارحل).

أخذت تتكرر فى استحياء... وتتزايد... وتتزايد..

و"ماجد"صامت كمطفأة...ينظر للجموع بهدوء...

- (ارحل)..

- (ارحل)..

ابتسامته بدأت تقلقنى... وهدوءه بدأ يخيفنى...

- (ارحل)..

- (ارحل)..

ظهر اثنان يحملان تلك الأريكة... ليجلس عليها.. بهدوء وثبات..

- (ارحل)..

- (ارحل)..

صاح " ماجد " فى ثورة :

- " عصماااان..".

لا ليس ثانياً.. حاولت أن أصيح محذراً...ولكن هيهات...

لقد أصبح المكان عبارة عن (ارحل)...

.. أتى "عثمان " بالفيشار... لا أيها الوغد..

هممت باختراق الجموع متجهاً إلى المنصة...

- (ارحل).

- (ارحل).

- (ملح ولا شيكولاته؟!).

- (ارحل).

هممت بصعود الدرج... ويده فى الهواء حتى أنزلهـا..... ومـع إنزالهـا.. ظهروا من المدرعات.. بلباسهم الأحمر.. والعصى والمصدات... وتطايرت قنابل فى الهواء تخرج منها خيوط من الدخان وبدأت الأحداث فى التصاعد.

- (حلوة منك.. بس بعيدة أوى..).

قالها "ماجد" وهو ينظر لى فى تهكم وشماتة.. وأنا أعدو نحوه...

سأقتله...

أقسم أننى سأقتله.....

اقتلعتنى تلك القبضة من مكانى.. لأطير للوراء.. مصطدماً بأرضية المسرح بعنف.. نظرت لأعلى فى صعوبة... إنه "الشبراوى" يبتسم فى وحشية و "ماجد" يقول:

- (يا نعيش عيشة فل يا نموت إحنا الكل).

انهال على بأخرى... عصفت بى.. ثم انتزعنى من الأرض بعنف.. حاملاً إياى كأننى جواله الشخصى ليلقينى بعنف على ركبته التى اخترقت منتصف ظهرى.. وسط ضحكات "ماجد" الذى صاح :

- (حلوه ياله يا "شبراوى" ياله.).

ركلنى فى وجهى... ثم معدتى... ثم أنفى...

وسقط بغته حاملاً ثقباً دامياً فى جبهته.. وصوت يقول:

- (عملتها يا رائف.. خليت النايم يصحى.. ويفوق..).

ميزت صوته، أنه صوت " السيد هاشم "..، أخذ يساعدنى على النهوض و"ماجد" يلتهم فيشاره فى نهم عبثى..

الدماء تتناثر حولنا...

السحب الدخانية تنتشر بالمكان...

عبارات (ارحل) مازالت تتردد وتدوى من هنا وهناك..

إصابتى عنيفة...

" السيد هاشم " يسقط...

أيها الأوغاد.. لقد قتلوه.. و...

أسقط أنا أيضاً لتنفجر الدماء من صدرى..

- (ارحل).

"ماجد" يقول :

- (سلام يا صاحبى.. شرفنى اللعب معاك).

أسعل دماءً.. والصورة تهتز ..

- (ارحل)..

طلقات نارية ..

شال متسخ حول عنقى...

ظلال.. تظهر وتختفى...

آسف يا صديقى...

إنه ليس إغماء كما عهدتنى أفعل معك .

أظنها النهاية...

لا تقل هذا.. فأنا أشعر أنها النهاية..

- (ارحل).

نهايتى يا صديقى...

أبصق الكثير من الدماء ..

- (ارحل).

أشعر با....

.....

أو...

ارحل...

اااارح- ...

اااار

اااا...

.....

* * *

الأمر أصبح بلا مفاتيح تحكم...

أدركت ذلك ولمسته عندما وجدت كل هذا العبث يحدث حولى... اختلفت الأعراف... وأصبح الصواب نسبى... يختلف باختلاف لون بوكسرك.. أو طول سوالفك... يختلف باختلاف لون فلتر سجائرك... أو باختلاف درجات الحرارة حولك.

أدركته جيدا ولكن بعد أن كونت اعرافى الشخصية.. وان كنت استطيع ان أغير بوكسرى...أو طول سوالفى.....أو نوع سجائرى..

فلم استطيع أن أغير قناعاتى.

وهرمت فى البحث عن مفاتيح التحكم ..

أو إعادة ضبط المصنع...

* * *

كان " ماجد " يبتسم.. وهو جالس على هذا المقعد وراء مكتبه...ابتسامة مستمتعة متحدية وهو يقول بعربية ركيكة:

- (استعدت وعيك أخيراً يا سيد"رائف"..).

ثمة اثنان مفتولا العضلات أحدهما يضع ضمادات على أنفه ويرمقنى بمقت لا محدود.

هنا دلفت "فاطمة" بعطرها.. وجمالها المعهود فصحت وأنا أحاول النهوض:

- (إياك أيها الوغد...).

إننى مكبل على مقعد...

بلا أظافر....

ولا قدم يسرى..

والدم المتجلط يملأ جسدى...لا... أنا أهذى...

جلست (فاطمة) لتشعل سيجاراً رفيعاً بمبسم أزرق اللون وتسأل "ماجد":

- (هل فاتنى شيء.. "ليفى"؟!).

هزر "ماجد" رأسه بالنفى مجيباً:

- (لا "راشيل" .. لقد بدأ المرح للتو..).

هل هو مسلسل تركي مدبلج...؟!.. حيث تصبح "أنجيل".. "سمر".. و "ريد" .. "رشدى"..

"راشيل" من؟!...

و "ليفى" من؟!...

... ثم ما تلك النجمة السداسية اللتى احتلت الإطار خلف "ماجد"؟!.

ضغط "ماجد" زراً على مكتبه ليظهر...

مرتدياً رداءً أبيض طويلا تحته قميص وبنطال...،

صحت فى سعادة :

- ("وائل"...مرحى ياصديقى...).

عدل "وائل" من منظاره الطبى.. وابتسم فى حرج ..ثم جلس هو الآخر...، انعقد حاجبا فى توتر ..

أى هراء هذا؟....

هناك شيء غير مفهوم... يقتلنى خوفاً...،

هنا تحدث "ماجد":

- (لا أدرى ما وقع ما سأقوله على مسامعك.. أرى أنك تعانى من صدمة من كثرة العقاقير التى حقنت بها...، أنا "ليفى لاخشع".. ضابط بالموساد الإسرائيلى...).

وأشار إلى "فاطمة" متابعاً:

- (وهذه " راشيل بلفادور " خبيرة ومحللة سياسية تعمل بالخارجية الإسرائيلية).

ثم أشار إلى "وائل" فى استمتاع عجيب مضيفاً فى إثارة:

- (وهذا الدكتور النفسى "سيمون زرائل" يهودى أمريكى ..يعمل لدينا كخبير نفسى بسيكولوجية الأسرى والجواسيس).

بهت.. واتسعت عيناى.. وصحت بتنمر :

- (هراء أيها الحقير).

نهض من خلف مكتبه مكملاً :

- (لا يبقى سوى أن أعرفك بنفسك... أنت "رائف أبو المجد"..

أعلم أيها الوغد الزنيم من أكون.. لا تتحاذق علىّ.. برقت عيناه ببريق مخيف وهو يقترب مضيفاً فى ظفر :

- (رجل المخابرات المصرى...).

وكأنه هوى على بصفعة ..

ثم ركلة...

ثم بصقة ..

تدلى فكى السفلى.. وتوترت أعضائى المتبقية.. وهو يستطرد:

- (كنت تعلم منذ البداية أنك فى خطر... ومع ذلك احتفلت بعيد ميلادك.. أنت والعاهرة زميلتك فى قسم التزوير والمضاهاة... "ماجى أنور عبد المحسن".. حبك الأوحد.. ، وحتى مع الصوت المعدنى الذى هاتفك على جوالك محذراً إياك... انصرفت فى غير مهنية.. ملفتاً لك الأنظار.. وحدثت المعركة.. وقتلنا عاهرتك.. وأحضرناك إلى هنا ..).

انحنى ليواجهنى أكثر وأكثر.. لترتطم لهاثه بوجهى مكملاً:

– (وجاءت مرحلة انتزاع المعلومات يا صديقى.. أنت تعلم القواعد... تعلمها وتحفظها عن ظهر قلب...) .

وامتعضت شفتاه وهو يقول بأسف مصطنع:

– (إلا أننا فشلنا... فشلنا فشلا ذريعاً..فمع تلك الحقنة التى غرزتها بأوردتك.. أتلف السائل الذى بها مراكز إحساسك بالألم.. اختراع جديد أحييكم عليه كمصرين.. وأصبحت منيعاً.. لم تستجب لمصل الحقيقة.. أو لكهرباءت كفى لشيك حياً.. كنت قوياً باسلاً... حتى مع اقتلاع أظافرك.. وبتر ساقك.. وخصيك.. باختصار كنت فولاذياً).

ضحكت...

ضحكت بهستيريا.. ليسيل اللعاب من فمى، لقد شاهدت هذا الفيلم من قبل ..شاهدته ولم أكمله..، نظر لى بثبات مطالعاً ضحكاتى الهستيرية وهو يقول:

– (حتى إننا فكرنا باستبدالك بجاسوس آخر أسير عندكم فى عمليه تبادل.. وكانت خيبه أمل عارمة ..حتى تقدم د ."سيمون" بتلك الفكرة الجهنمية... فكرة فى الواقع قلبت الموازين.. وأعطت مفردات جديدة للعبة.. فقد كانت باختصار تتمثل فى التيمة القديمة...تيمة التنويم المغناطيسى... الفكرة من الوهلة الأولى كانت فى غاية السذاجة... إلا أن التصور الجديد كان يروق لى..).

وأكمل فى خيلاء:

– (كانت الفكرة تعتمد فى مُجملها على الإيحاء ..تنويم الضحية مغناطيسياً والقيام بإيحاء الضحية بشيء ما.. وهذا ما راق لى.. فهذا هو الجزء المفضل بالنسبة لى فى الواقع.. فمع الوضع فى الاعتبار أن أهم شيء عند المسلم عقيدته.. فجاء السؤال.. لم لا؟!...لم لا نقوم بإيحائك.. إنك فى العالم الآخر..

تنتظر عقابك.. وحسابك.. وعند الوقوف أمامه.. ستدلى بكل شيء حتى أدق أدق التفاصيل ستسأل وتجيب فى خشوع.. عبد فقير.. عار ..ضعيف..).

شهقت مذهولاً.. وهو يشير بيده قائلاً فى ملل :

– (نعم.. أعلم.. أعلم.. فكرة ماجنة مفتقرة لأى عقيدة..أو مذهب دينى.. قد تصل إلى حد الإلحاد.. ولكن لن تصدق ماحدث.. لقد صدمتنا بما رأيناه..).

و رفع يده لأعلى وهو يقول بنهم وبريق ماجن ينطلق من عينه:

– (خيال مريض.. وإلحاد غير معهود.. أنت فى الحقيقة سيد "رائف".. مريض نفسي من العيار الثقيل.. ومدمن غير طبيعى للكوكاين.. لقد اخترعت ناراً... بأحداث.. وأشخاص.. وشوارع.. ومبان ..وسرت فى طريق آخر).

وابتسم فى زهو :

– (حتى حدث ما هو أفضل.. لقد تسربت المعلومات وبصورة لافتة تنم عن وجود فساد لا محدود داخل جهازكم... فباتت اللعبة لا فائدة منها ..مع أنها من أعماق... أعماق... أعماق قلبى.. أثارت شغفى لأبعد مما يتخيل عقلك المريض..).

صمت...كالموت ..

إنه أنا... شعرت بذلك ..

شعرت بصدق " ماجد " أو أينما كان فى كل حرف نطقه ..

أعلم أننى كنت أهذى منذ البداية ..

أعلم أننى مدمن للكوكايين.. مدمنه إدمانك لقراءة "ميكى جيب" بدورة المياه ..

أو إدمانك للتجشؤ بعد تناول وجبة دسمة منتظراً البطيخ..

... أعلم أن "ماجى" كان بداخل أحشائها طفلى.. وأننى كنت رافضا أن يشاهد نور الحياة..

وأعلم أننى خذلت والدى بطل حرب أكتوبر المجيدة ..

أعلم بكل شىء...

وأعلم ..

وأعلم ..

وأعلم ..

- (هل لى بلفافة تبغ؟!).

قلتها فى هدوء بنظرات زائغة.. فابتسم ابتسامة صفراء قائلاً فى إعجاب:

- (أقدر الرجل .. عندما يتحلى بالروح الرياضية).

وأخرج من جيبه علبة سجائر مستوردة مخرجاً منها لفافة ويقترب منى فى ثقة قائلاً:

- (للأسف ليست من نوع "الفاير الأحمر" لكنها ثقيلة وتفى بالغرض..).

دسها فى فمى.. وأشعلها بقداحته الماسية... لالتقط منها نفساً عميقاً وأنا أقول فى ازدراء:

- (كنت متابعاً جيداً أيها الزانى).

- (لا أنت كنت صاحب خيال ولمسة سحرية فى الواقع..).

عاد إلى مكتبه.. وأنا أتابع الجميع بعينى متسائلاً:

- (إذن بعد أن وصلتك المعلومات التى تريدها.. ستتصرفون معى على أى نحو؟!).

مط شفتيه وهو يجيب:

- (رسمياً.. أنت لست هنا.. وصدقنى فى ظل الفساد المحيط بجهازكم.. لن يبحث عنك أحد..).

ابتسمت ساخراً مبعثراً الدخان :

- (أنت تعلم أننى لم أعد أصلح كفرد مخابرات ..).
- (نعم أعلم تماماً..).
وأخرج مسدسه من درج مكتبه وهو يكمل:
- (لقد قررت قراراً.. وأظن أنك قد فهمته..).
ابتسمت مرة أخرى وقلت:
- (فهمته.. ولكن لى كلمة أخيرة..).
استل صمام أمان المسدس ملوحاً به قائلاً:
- (قل ما تشاء..)
صحت فى غلظة ومقت الدنيا:
- (سأنتظرك فى الجحيم أيها الوغد لنرقص سوياً).
قال فى برود:
- - (سأعتبر هذا وعدا).
وأطلقها ..
لأشعر بها بمنتصف رأسى ..
ثم ..
لا شىء ..

* * *

ياله من من صداع يكتنف رأسي ..لكم أتوق لكوب من القهوة الدوبل.. وضعت ساقا علي أخري.. داخل هذا القارب المتهالك...وسط تلك الحشود لكم قدرت إحساس سمكة التونة التي تتسكع داخل المحيط لتجد نفسها فجأة بداخل شباك ذلك السمين صاحب الكرش المكتز والرائحة الكريهة.. ثم تقيم علاقات لا بأس بها مع بني جنسها ثم تصبح داخل علبة لتجد نفسها نوعين إما مفتتة أو قطعاً...

ما كل هؤلاء البشر؟!.. إننا في حدود العشرين شخصا منهم من فضل قضاء الرحلة نائما ومنهم من شرد ومنهم من يبكي .

نظرت للملثم الذي يحمل مجداف القارب...فابتسمت رغماً عني...

وأنا أقول :

- (هى لسه الميه مغلية؟!)

زمجر ولم يرد... فقلت :

- (خلاص يا عم بالراحة علينا).

أخرجت علبه سجائري وتمددت مسترخيا وأنا أشعل سيجارتي.....

آخر سيجارة متبقية معي ..

سأبتاع علبه من نوع الفاير الأحمر عند وصولي ..

سأتزوج "فاطمة" ..

سأغير الفندق ..

سأقتل "ماجد" .

نظرت للصعيدي وهو يحمل مجّه المتلئ بالشاى فقلت له في تبجح ..

- (سبلي بقين ياسويلم)

نظر لي سويلم في ذهول :

- (أبه.. عرفت اسمي منين ؟).

لم أرد، وأشرت إلى "فايز" قائلاً:

- (خلى بالك مفيش شبكة هنا.. ماشى؟!).

وتذكرت شيئاً فتابعت فى لهجة متوعدة:

- (لو جتلى على سكة.. حنفخك).

لم أنتظر رده.. أو حتى اهتممت بكمية السباب التى وجهها لأمى.. فقد أسبلت جفني في هدوء وأنا التهم سيجارتي الأخيرة ملوحا بيدي في الهواء....

و أردد أغنية قديمة تذكرتها محببة لنفسي وصوتي يرتطم بالفراغ من حولي :

- (أما جابلني وسلم عالي ولدي ياولدي...
سلم عاااااااالي).

* * *

تمت

١٠-٦-٢٠١١

نحو
ار أفضَل

أحمد خلف

*الرعاة الرسميين لهذا المنتج بالترتيب حسب الظهور:

* سوبر ماركت (اللهب الابيض).
* فندق (الشعلة).
*سجائر (فاير احمر)..
*مقهى (اخر ساعة)..(مكيف الهواء.. wf).
*(بن لهيب).. (لسنا الوحيدون... ولكننا متميزون).
* سجائر (نفرتيتى).
*الفيشار مقدم من (ناريكو) .. (فشارنا غير ....واسأل بقك).
* الملابس و الاحذية المستخدمة مقدمة من محلات (المتعذب الانيق)..
* السيارات مقدمة من محلات (سبيد فاير).

ميريت